

بمكار بن سعید اعوشی



الإسلام ومدرسة فرويد

دراسة نقدية شاملة لأصول نظرية فرويد الجنسية



380

الإسلام ومدرسة فرويد

دراسة نقدية شاملة لأصول نظرية فرويد الجنسية

تأليف

بكير بن سعيد أعوش

الطبعة الأولى

1403 هـ - 1983 م



الكيمياء عبد القادر عيسى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

ملاحظات

هذا الكتاب من حق المؤلف

الطبعة الأولى

1991 - 1992

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاهداء

الى روح الشاعر الثائر رمضان حمود ، الذى
قارع الاستعمار العسكرى بقلمه ، فى فترة الحصار ،
التي كانت مفروضة على الأقالام الوطنية الصادقة ..

أهدي الى روحك الطاهرة ، هذه الصفحات
المتواضعة ... ان أفكارك ستبقى دائما مشعلا فى
قلوب كل الجزائريين المخلصين المؤمنين بأصالتنا
الاسلامية التى حافظت على هويتنا عبر التاريخ
الطويل الذى قاوم التمسيح والتغريب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ».

قرآن كريم

(أنا أعتقد أن الذين سيأتون من بعدى سيبادرون ،
وبأسرع ما يمكن ، الى تقويض كل ما لم يدعم بالحجة القوية
مما سأخلفه ورأى) .

(فرويد)



الفلسفة الصحيحة ، وسلامة الذوق ، كفيلا بنبش كنوز
الحقائق .

« رمضان حمود »

المقدمة :

ان الثقافة المعاصرة قد أحدثت تغييرا جوهريا فى سلوك الفرد والمجتمع على السواء ، وازاء هذا الموقف أمسى المسلم مرتبكا بين أصالة الفكر الاسلامى وقضايا الساعة الراهنة ، ومشاكلها الكبرى ، فوجد الاجابة على تساؤلاته وأسئلته من خلال الفكر المعاصر (I) ، وتياراته المتضادة الاتجاهات المتمثلة فى المقالات التى تنشر فى الكتب والصحف والمجلات ووسائل الاعلام المختلفة التى حرفت الفكر الاسلامى ، أو أهملته كليا .

وبات من الضرورى معالجة هذه الظاهرة الخطيرة ، من خلال الفكر الاسلامى الذى عالج قضايا انسانية ، وتحدياتها التى يتخبط العالم الآن فيها .

ولعل هذا الكتاب الجديد - الاسلام ومدرسة فرويد - ودراسات اسلامية أخرى التى تعالج قضايا يومية ، سوف

(1) ان المدارس الفلسفية المعاصرة هى : الوجودية والماركسية ، والبراجماتية ، ومدرسة التحليل النفسى ، والوضعية المنطقية والنسبية .

توقظ أصالتنا الفكرية ، وروح النقد التى يمكن اكتسابها عن طريق المطالعة اليومية ، واعمال الفكر ، فحينئذ تجعل المسلم أكثر وعيا ، وادراكا لسلوكه ، وسلوك المجتمع الاسلامى فى طرح المشكلات الكبرى (2) القائمة على الدليل والبرهان الحاسم لا على التقليد والتسليم ، ليكون على بينة من أمره .

لا شك ان الفكر الاسلامى هو دين البشرية الذى عالج قضايا عقائدية ، ونفسية واجتماعية واقتصادية ، وسياسية فى آن واحد ، وتناول طبيعة النفس البشرية بنظريته الشمولية الثاقبة ، وثنائيته التى تعترف بالروح والجسد ، والخير والشر الارادة والاهواء . والله عز وجل يقول : « وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا » (سورة الشمس : 7 - 10) .

ورغم هذا نلاحظ أن الجيل الراهن من أبنائنا ، يترنح بين العقيدة الاسلامية الصلبة التى ورثها من ماضيه المجيد ، وبين ثقافات أجنبية تقمصها وجعلته عبدا وخادما لها ، بدون أن يدرك ماهية هذه المذاهب فينتقدها نقدا موضوعيا ، ولا سيما مدرسة التحليل النفسى عند فرويد التى ساهمت فى ملامح الحضارة المعاصرة .

والقارىء الكريم عندما يعود الى ذاكرته سوف يتذكر الدروس التى تعلمها فى الثانوية ، أو شاهدها فى التلفزة ، فيتذكر على الحال منهج التحليل النفسى الفرويدى الذى

(2) المشكلات الكبرى هى : أصل الوجود والانسان ومصيره وحيثيته ، والنظم السياسية والاقتصادية ، والمرأة والجنس ... الخ .

يركز على الهو (3) ، وأثره في مستقبل مصير الانسان ، حتى أن بعض علماء النفس يقرون أن نظرية فرويد الجنسية انجاز رائع يشبه اختراع الكهرباء والذرة ... الذى أدى الى تغييرات فى العلاقات الانسانية (4) .

الا أن الأمانة العلمية تفرض علينا أن نحلل نظريته تحليلًا موضوعيًا ، ونبين وجهة نظر الاسلام فى هذه المدرسة لان من الخطأ الفادح أن نسلم بمنهجه تسليماً كاملاً بدون نقد وتحليل ، ثم نطبقه على الانسان كقاعدة كلية ثابتة صالحة ، ونحن نقول : ان مدرسة فرويد فى علم النفس ، ما هى الا انعكاس حضارى للبيئة التى ترعرع فيها ، وعبر عنها تعبيراً صادقاً ، فلم يتحرر من ثقافة المجتمع اليهودى والكنائسى (5) ، وعسى القارىء العزيز أن يجد الحقيقة التى ينشدها فى هذا الكتاب ، فذلك بنقد آرائه بكل موضوعية ، واختبارها تحت المجهر الاسلامى ، وبالله الهداية والتوفيق آمين .

غارداية : المؤلف أعوشة بكير بن سعيد

الاربعاء 13 ذى القعدة سنة 1402 هـ ، الموافق 1 سبتمبر 1982

(3) الهو : هو الجانب الاكبر من الشخصية الذى يضم الغريزة الجنسية والدوافع الفطرية .

(4) انظر : كالقن - س - هول - ترجمة د . عبد العزيز سلامة وأحمد عثمان - علم النفس عند فرويد - ص 18 .

(5) انظر : محمد قطب - الانسان بين المادية والاسلام - ص : 42 - 43 .
انظر : د . نوال السعداوى - الانثى هى الاصل ، ص : 28 29 .

انظر : بتى فريدان ترجمة هنريت عبودى ، مجلة دراسات عربية ، العدد الثالث ، السنة 1982 ، ص 127 - 128 .

مدخل الى البحث

(أ) - لماذا ندرس علم النفس ؟

منذ أواخر القرن الماضى أخذ الاهتمام يتزايد ويتطور لدراسة سلوك الانسان ، وما يصدر عنه من أفعال وأقوال وحركات ظاهرة . والهدف من كل هذا ، هو التحكم فى سلوكنا لتحقيق التوازن والتكامل بين الفرد ورغباته ، وبين الفرد والمجتمع .

والشخص الذى يعرف سلوكه وسلوك غيره ، يستطيع أن يتكيف مع المحيط الاجتماعى الذى يعيش فيه ، أو الحالات التى تطرأ على الاوضاع التى نحن فيها .

ولعل أبسط مثال على ذلك ظاهرة اللعب (6) التى نلاحظها بين آونة وأخرى ، فانها تختلف على حسب الاعمار والرغبات والثقافات ... فاللعب عند الاولاد يختلف عن لعب الراشدين لان هذا الاخير يخضع لقوانين وقواعد عالمية فى كثير من

(6) اللعب : هو الشئ الذى يتلذذ به الانسان فيلهيه ثم ينقضى ، تعريفات الجرجاني، واللعب فى أغلب الاحيان لا يحقق أهدافا جدية .

الاحيان ككرة القدم . ورغم هذا نحن نشارك أطفالنا فى
العابهم ، ونحاكيهم ، ونقلدهم فى هذه الظاهرة السلوكية ...
فهذا دليل على تكيف الانسان السوى الذى يتفاعل مع الوضعية
الجديدة .

وقد يظن المرء أن الاسلام لا يهتم بهذا الميل عند الانسان ،
غير أن القرآن قد أشار الى هذه الظاهرة فى عدة آيات كقوله
تعالى : « وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ » (الانعام : 32) .
وفى آية أخرى يقول الله تعالى : « قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ
مِنَ اللَّاعِبِينَ » (الانبياء : 55) . أما الآية الكريمة التى تميز
بين اللعب الذى لا يحقق هدفاً، والعمل الذى يحقق هدفاً
معيناً ، فهى قوله تعالى : « وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ » (الدخان : 38 - 39) .

فمن خلال هذه الآيات الكريمة ، يتأكد لنا أن اللعب نابع
من دوافعنا الفطرية ، ومرتبطة باللذة والمتعة التى نطلبها .

والحياة الدنيا التى يعيشها الانسان فوق هذا الوجود
وصفت بأنها لعب ولهو . أما الآية الاخيرة فقد حذرت أن
يظن الانسان أن ظاهرة الخلق نوع من اللهو واللعب ، بل انها
حقيقة تتطلب جهداً فكرياً للوصول الى سرها . فهذه الآية
تميز بين اللعب والعمل الفكرى الذى يتطلب البرهنة العقلية
ل للوصول الى سر هذا الوجود الذى أوجده الله تعالى .

(ب) - علم النفس فى حياتنا اليومية :

ان الملاحظة اليومية تبين لنا ، أن الناس كلهم يمارسون علم النفس مع أنفسهم ، ثم مع غيرهم بدون أن يشعروا بهذا .
فالأم مع أولادها ، والمعلم مع تلامذته ، والمدير مع العمال ، والحاكم مع شعبه .

اذن أن علم النفس وثيق الصلة بحياتنا اليومية ، وهل يمكن لنا أن نقول : ان هؤلاء الناس ينجحون دائما فى تصرفاتهم ؛ الجواب ... غير أن هؤلاء فى غالب الاحيان يخفقون فى سلوكهم وتفاعلهم مع البيئة لتحقيق حاجاتهم ، اذا تصارعت الرغبات ولم يستطع الفرد أن يحل هذا الصراع عن طريق الحيل الشعورية واللاشعورية (7) . أما عندما تفقد الحيل مفعولها هذه ؛ فيكون الانسان حينئذ عرضة للأمراض النفسية والعقلية فيسمى حينئذ بالشخصية المريضة أو الشاذة .

والواقع أن هذه الامراض لا تعالج الا فى العيادات النفسية التى تستهدف معرفة الناس المرضى لحل مشكلاتهم النفسية والاجتماعية ليعود هؤلاء الناس الى توازنهم الطبيعى ووحدة شخصيتهم التى هى شرط من شروط سلامتها . ويقصد بالوحدة استمرار الشعور الكامل وعدم انفصام (8) فى الشخصية .

(7) يقصد به آليات الدفاع عن الانا النفسية التى تقوم بها ، ازاء الصراع النفسى لحل العقد النفسية .

(8) الفصام : مرض نفسى يتميز بتفكك عام فى الوظيفة العقلية والابتعاد عن الواقع .

(ج) - علم النفس وموضوعه :

ما هو علم النفس ؟

ان علم النفس يهتم بدراسة الظواهر النفسية لدى الفرد - أى جملة من الحوادث الشعورية التى تتجلى فى السلوك العام عند الانسان - والظواهر النفسية هى بدورها تنقسم الى قسمين :

I - خبرات شعورية التى يشعر بها الانسان شعورا واعيا كالعلم ، والتذكر ، والادراك ... الخ . أى كل ما يصدر عن الانسان ، من سلوك حركى أو لفظى ، أو ردود فعل ، المتمثلة فى الانفعالات .

2 - ظواهر لاشعورية - ونعنى بها ، ما تراكم فى النفس منذ الصبا من نزعات دفيئة وميول مكبوتة - وهذا السلوك يسمى باللاشعور عند المدارس النفسية ولا سيما فرويد (9) . واللاشعور هو الجانب النفسى الذى يضم حالات نفسية لا ارادية من ذكريات منسية ، ورغبات (IO) مكبوتة لم تتحقق وتسعى للتحقق والظهور فى ساحة الشعور ، ودليلنا على ذلك الاحلام التى يراها الانسان فى نومه ، والتى لا تخضع لارادتنا، وعندما يشرع الانسان فى تحليلها يدرك أنها تعبر عن رغبات لم تتحقق فى دنيا الواقع ، وكذلك الامر بالنسبة الى فلتات اللسان التى تبدو تعبر عن اللحظة الراهنة

(9) انظر الباب الاول والثانى من هذا الكتاب ستجد الجواب كافيا .

(10) يعرفها دفر فى معجم السيكلوجيا بأنها اصطلاح عام للشبهة مصحوبة بوعى واضح .

ولكنها تعود الى دوافع (II) لاشعورية، التى سوف نحلل هذا الجانب الخفى من الشخصية فى الفصول القادمة .

(د) - علم النفس والعلوم الاخرى :

ان علم النفس يختلف عن العلوم الاخرى ، سواء كانت علوما رياضية ، كعلم الحساب ، أو الجبر ، أو الهندسة . فموضوع هذه العلوم هى المفاهيم المجردة - أى - الكم القابل للقياس ، أو كانت علوما طبيعية تهتم بدراسة المادة الجامدة أو المادة الحية (I2) .

أما علم النفس فيدخل ضمن العلوم الانسانية كعلم الاقتصاد وعلم التاريخ وعلم الاجتماع ، فعلم الاجتماع يهتم بدراسة سلوك المجتمع كظاهرة التدين ، والثقافة والصراع الطبقي ... أما التاريخ فيهتم بدراسة الحوادث الانسانية التى وقعت فى الماضى كالحروب والفتن الداخلية ... ورغم هذا فان علم النفس له اتصال وثيق جدا بالعلوم الانسانية ، فلا يمكن أن تدرس النشاطات الفردية ، الا من خلال الظاهرة النفسية التى تؤثر تأثيرا مباشرا ، أو غير مباشر فى سلوك المجتمعات البشرية .

وبعد هذا العرض الذى قدم فى تحليل الظاهرة الانسانية ... هل يمكن لنا أن نقدم تعريفا شاملا لعلم النفس ؟

(11) حالة فيزيولوجية تدفع الكائن الحى الى الفاعلية ، وتنشطه ليحقق هدفا .

(12) اشارة الى العلوم الطبيعية والعلوم البيولوجية .

الواقع أننا نجد عدة تعاريف تحاول كل واحدة منها ،
بيان ماهية سلوكنا . لقد جاء في أصول علم النفس لـ أحمد
عزت راجح ما يلي :

« انه العلم الذى يدرس ، الحياة النفسية ، وما تتضمنه
من أفكار ومشاعر ، واحساسات وميول ورغبات وذاكرات
وانفعالات » (I3) .

أما بالنسبة الى جميل صليبا فقد عرفه بما يلي :

« ان هذا العلم لا يبحث فى النفس ، بل يبحث فى الظواهر
النفسية شعورية كانت ، أولا شعورية ، للكشف عن قوانينها
العامّة . واذا قلنا : ان علم النفس هو علم السلوك الظاهر ،
لان دراسة السلوك الظاهر على النحو الذى تدرس به حركات
الآلة المعقدة يخرج من علم النفس كل ما له علاقة بالعقل
والشعور وهذا غير صواب » (I4) .

ويمكن ان نضيف تعريفا ونقول : ان علم النفس يهتم
بدراسة سلوك الفرد ومكوناته الاساسية فهى : الانا الجسمانى
والانا النفسانى والانا الاجتماعى .

بعد هذه التعريفات يتضح لنا أن علم النفس المعاصر يهتم
بدراسة وتحليل سلوك الشخصية – ولكن هل صحيح أن هذا
العلم يكشف لنا ماهية سلوك (I5) الانسان ؟

(13) انظر : د . أحمد عزت راجح – أصول علم النفس – ص : 3 – 4 .

(14) انظر : جميل صليبا – المعجم الفلسفى ، الجزء الثانى ، ص 484 .

(15) الماهية : هى كنه الشئ وجوهره .

ان الجواب يكمن في عرض المدارس النفسية المعاصرة
وبيان نظرياتها في تحليل وتفسير سلوك الانسان ، لتكون
مدخلا ومساعدة في فهم المدرسة النفسية الاسلامية التي جهلها
أو تجاهلها الباحثون في علم النفس - ومقارنتها كذلك
بالنظريات النفسية الراهنة ولا سيما نظرية فرويد الجنسية .



الباب الاول

المدارس النفسية المعاصرة والمدرسة النفسية الاسلامية

أ - المدرسة السلوكية :

أسس هذه المدرسة العالم الامريكى واطسون (16) فى مطلع هذا القرن ، لقد قرر بوجوب معالجة المشكلات النفسية معالجة تجريبية موضوعية قائمة على المنهج التجريبى وخطواته، ولذا تبعد كل ما هو شعورى ، وترفض اصطناع منهج التأمل الباطنى (17) رفضا كاملا ، ولا تعير أى اهتمام للشعور والاستعدادات الفطرية والقدرات الذهنية .

فالذكاء فى نظر هذه المدرسة ما هو الا مجموعة معقدة من عادات اكتسبها الانسان أثناء احتكاكه بالمحيط الاجتماعى .

(16) واطسون : عالم نفسانى من علماء أمريكا (و 1875 : ت 1961) أسس علم النفس السلوكى على أساس المدرسة البافلوفية ، لقد رفض الظاهرة الشعورية . أهم مؤلفاته : السلوك ، المدخل الى علم النفس المقارن .

(17) معنى هذا أن الشخص يلاحظ بهوضوعية حالته النفسية وخبراته

فقد قال واطسون مرة : (أعطوني عشرة أطفال أصحاء
أسوياء التكوين ، فسأختار أحدهم جزافا ، ثم أدربه فأصنع
منه ما أريد طبيبا أو فنانا ، أو عالما أو تاجرا ، أو لصا أو
متسولا ، وبذلك يغيض النظر عن ميوله ومواهبه وسلالة
أسلافه .

نقد : ان هذه المدرسة اهتمت الى حد كبير بشروط التعلم ،
وان التعلم فى نظرها ما هو الا مجموعة من العادات تكتسب
عن طريق الفعل المنعكس الشرطى ، ومن المجتمع .

والخلاصة أن علم النفس فى نظر واطسون يعد جزءا من
علم الفسيولوجيا (18) .

غير أن هذه النظرية صحيحة نسبيا فى اكتساب بعض
السلوك ؛ الا أنها اهملت القدرات الذهنية التى أثبت علم
الوراثة أنها تورث الى حد ما . ثم ان الحالة النفسية بدورها
تؤثر فى سلوكنا كالأفعال الذى تلازمه تغيرات فسيولوجية
ولا يمكن تجاهل هذه الحقيقة .

ب - المدرسة الشعورية :

ان هذه المدرسة تناقض النزعة السلوكية التى تقتصر على
دراسة الانسان دراسة آلية تجريبية (19) حتى قيل : ان علم
النفس قد انتحر على يد السلوكية .

(18) علم وظائف أعضاء الكائنات الحية .

(19) نسبة الى المنهج التجريبي الذى يعتمد على الخطوات التالية :
الملاحظة - الفرضية - التجربة - استنتاج القانون .

ان المدرسة الشعورية ليست جديدة فهي قديمة جدا ، بل تعود الى العهد اليونانى - غير أن تحديثها بطريقة منهجية علمية يعود الى وليام جيمس (20) وبرغسون (21) .

ويعرف وليام جيمس علم النفس - انه علم الحياة الذهنية ودرس ظواهرها وأوضاعها معتمدا فى ذلك على المنهج الاستبطانى - أى - الملاحظة الداخلية التى يلاحظها الانسان فى ذاته - فهى تستهدف الى وصف وبيان حالاتنا ، وتحليلها تحليللا كافيا ، سواء كانت هذه الحالات حاضرة كالحزن والادراك، أو حالات ماضية كالأحلام والذكريات ، ويعنى بهذا حفظ الفرد ما كان قد تعلمه فى الماضى (22) . وهذا الماضى يمثل الخبرات الشعورية التى يستطيع الفرد التعبير عنها أو وصفها كالخبرات الحسية والمشاعر (23) .

أما بالنسبة لبرغسون فيرى أن الشعور ليس امتدادا مكانيا يمكن أن نقسمه الى وحدات متجانسة ، كما نفعل بالمكان الهندسى والظاهرة النفسية لا تجرى فى مكان يمكن أن نقسمها ونتحكم فيها ، بل تجرى فى زمان وديمومة مستمرة

(20) وليام جيمس (و 1842 ، ت 1910) يعد من أساطين المدرسة العملية الامريكية التى تجعل النجاح مقياس الحقيقة . أهم مؤلفاته : مبادئ علم النفس - ارادة الاعتقاد - البراغماتية .

(21) برغسون (1859 - 1941) مفكر فرنسى ، دافع عن النزعة الروحانية ضد المادية أهم مؤلفاته : التطور الخالق - المادة والذاكرة ، محاولة فى معطيات الشعور المباشر .

(22) انظر : وليام جيمس ترجمة د . محمد على العريان - البرجماتية ص 369 - 400 .

(23) انظر : د . فاخر عاقل - معجم علم النفس - ص 28 .

ويقول برغسون ما يلي : « الحدس هو التعاطف العقلي الذي ينقلنا الى باطن الشيء ويجعلنا نتحد بصفاته المفردة التي لا يمكن التعبير عنها بالالفاظ » (25) .

خصائص هذه المدرسة :

1 - تؤكد أن الظاهرة الشعورية حالة ذاتية لا تدرك في المجال المكاني المادي .

2 - أنها لا تقبل التجزئة (26) كما هو الامر في المادة التي تنحل الى ذرات، ولا تقبل القياس الكمي الذي ينطبق على العلوم المادية .

3 - ان ملاحظاتها الخارجية لا تستطيع أن تسبر وتدرك طبيعة الحالة الشعورية لدى الانسان لان الحالة النفسية ذاتية وتعتمد على الحدس الذاتي الذي لا نشارك فيه غيونا .

اعتراض ونقد :

ان هذه المدرسة حين تؤكد على الجانب الذاتي ، أن الحدس هو المعيار الوحيد للكشف عن طبيعة سلوك الفرد . فان هذا الحكم لا يستقيم على أسس سليمة للأسباب التالية :

أولا : فردية الاستبطان - بمعنى أن الفرد تكون نتائجه صادقة بالنسبة اليه فقط .

(24) الحدس : هو المعرفة الحاصلة في ذهن دفعة واحدة من غير أدلة عقلية .

(25) انظر : جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ج 2 ص 453 ، وذكريا ابراهيم - برجسون ص 59 - 62 .

(26) اشارة الى الظاهرة النفسية .

ثانيا : أن هذه النتائج تتحول من حالة الى حالة أخرى ،
زد على ذلك المحاجز الطبيعية التى لا نستطيع التحكم فيها
كالنوم أو الحالات الانفعالية الشديدة .

ثالثا : ثم ان هذا المنهج يفقد خصائص الروح العلمية ،
لانه يعتمد على الذاتية فهذا يتناقض مع موضوعية العلم .
فرغم هذه الاعتراضات فان المحلل النفسانى لا يمكن أن
يستغنى عنه فى الدراسات النفسية ، فهو يلعب دورا أساسيا
فى بعض ميادين علم النفس ، لانه يعد الوسيلة الوحيدة
لوصف وتفسير الظواهر النفسية الذاتية كالحالة الشعورية
والاحلام الخ ... على الرغم مما ذكرناه فان نتائجه تبقى
محدودة نظرا لطبيعته الذاتية .

ج - مدرسة التحليل النفسى :

ان مؤسس هذه المدرسة هو الطبيب النمساوى فرويد (27)
الذى سنشرح حياته ووجهة نظره فى سلوك الانسان فى
الفصول القادمة ، بحول الله ، أكثر .

وهذه المدرسة أعطت كل نشاطها ، وعنايتها الى الجانب
الخفى من الشخصية فهو اللاشعور (28) ؛ مدعية أن كل

(27) راجع حياته وأثره فى الباب الثانى بالتفصيل .

(28) اللاشعور : يمثل الجانب النفسى ، الذى يضم حالات نفسية
لا ارادية عن ذكريات منسية ورغبات مكبوتة تهدف الى الظهور فى ساحة
الشعور .

انظر : أحمد عزت راجح - أصول علم النفس - ص 50 - 54 .

عبد العزيز القوصى - علم النفس : ص 343 - 367 .

الاضطرابات العقلية والعصبية لدى الفرد ما هي الا نتيجة حتمية للطاقة النفسية المكبوتة .

ولقد انعكست آثار هذه المدرسة في كل العلوم ، منها العلوم الاجتماعية والادبية والرسم والفن ... الخ ؛ فهذه المدرسة تميزت بالخصائص التالية :

I - تؤكد أثر العوامل والدوافع اللاشعورية في سلوك الانسان ولا سيما الذات الدنيا أى - الهو - ، الذى يضم كل ما هو موروث من ميلاد الفرد حتى لحظة حاضره ، والهو يمثل كل دوافعنا الفطرية خاصة الغريزة الجنسية وغريزة الموت ... وهذه الاخيرة هى المسؤولة عن ظاهرة الحرب والاجرام (29) .

غير أن هذه المنطقة كبتت تحت القهر الاجتماعى ، نظرا للعادات والمثل الاخلاقية ، فهدف الوحيد للهو هو اجتناب الالم والحصول على اللذة بأية طريقة .

2 - بيان أثر اللاشعور فى وصف وتفسير طبيعة الشخصية السوية والشاذة . وابرار عوامل انحرافها أو نجاحها .

3 - التأكد على مرحلة الطفولة ، وأثرها على مستقبل الانسان ، خاصة علاقة الطفل بوالديه فى سن الرضاع ، وكذلك دراسة وتحليل عقدة أو ديب (30) ، وبيان أثرها الفعال فى انحراف الفرد، والامراض النفسية والخلاصة أن

(29) انظر : د . صلاح عدس - ملامح الفكر الاوروبى المعاصر ص 77 .

(30) راجع هذه الفكرة فى الباب الثانى .

هذه المدرسة ، تصر أن سلوك الانسان ، لا يمكن أن يفهم ويدرك الا من خلال التحليل النفسى المتمثل فى شرح الجانب اللاشعورى والحيل اللاشعورية ، وكشف الغطاء عن الاحلام وتأويلها لبيان أثر الغريزة الجنسية فى سلوكنا .

أما هذه الحيل اللاشعورية (31) فهى :

(1) **الكبت** : منع الافكار والذكريات المؤلمة من الدخول فى دائرة الشعور .

(2) **التبرير** : هو البحث عن تفسير معقول لسلوكنا .

(3) **الاسقاط** : هو اطفاء ما فى نفوسنا من نقائص غير معقولة لغيرنا .

(4) **التقمص** : نقوم على تقبل بعض الخصال لفرد وتمثيلها ، رغبة فى التعويض .

(5) **النكوص** : حيلة دفاعية يتخذها الفرد لتجنب مواجهة المشاكل والهروب من الواقع .

(6) **التعويض** : هو سبيل يسلكه الفرد الذى يشعر بعقدة نقص فى شخصيته نتيجة عاهة جسدية أو فكرية أو اجتماعية .

(31) انظر : كالقن بن هول ، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة وأحمد عثمان علم النفس عند فرويد ص 83 - 104 .

انظر : أحمد عزت راجح أصول علم النفس ، ص 112 - 115 .

انظر : محمد عثمان ، علم النفس فى حياتنا اليومية ص 302 - 320 .

(7) التصعيد : هو القدرة على ابدال الغاية الاولى بغاية أخرى سامية مقبولة اجتماعيا كالرسم والفن ... الخ .

تقييم ومناقشة :

لا يمكن للانسان أن يتجاهل (32) دور التحليل النفسى فى علاج بعض الامراض النفسية ، والكشف عن العقد النفسية وأثرها فى سلوك الطفولة والراشدين .

والواقع أن مظاهر اللاشعور موجودة تعبر عن وجودها بطرق مختلفة ، خاصة فى فلتات اللسان والادراك والاحلام ؛ نحن ندرك على حسب رغباتنا كالشخص الذى ينتظر صاحبه بفارغ صبر ، فيظن كل شخص رآه صاحبه فاذا اقترب منه تبين له انه غير صاحبه . وكذلك الامر بالنسبة الى الاحلام ، وان أعظمها تنطوى على حالات نفسية مكبوتة وتلقى الضوء على الجانب اللاشعورى ، فالارادة هنا لا تراقب تصرفاتنا بحيث تعبر الرغبات المكبوتة عن نفسها تعبيرا سافرا صريحا . فقد يرى الشاب فى أحلامه انه قتل أباه . فهذا فى الواقع رغبة مكبوتة تحمل كراهية لأبيه ، غير أن هذا الشاب لا يستطيع أن يصارح بها نفسه فى حالة اليقظة . والحقيقة أننا لا نرفض هذا الجانب الذى اكتشفه فرويد ، ولكنه وقع فى خطأ حين عمم منهجه على جميع سلوكنا، ثم سلب من الانسان حريته لما فسر مصير الانسان بحتمية ماضيه الجنسى .

(32) راجع النقد الكامل فى الباب الثانى .

د - المدرسة الشيوعية (33) :

ان المدرسة النفسية الشيوعية هي انعكاس طبيعي للفلسفة المادية الماركسية (34) التي تنص على ما يلي : ان نمو الحياة البشرية فردية أو اجتماعية ، يعود الى الظروف المادية والاقتصادية، وأن الحياة النفسية انعكاس للظروف التي يحيها الفرد .

من خلال هذا المنطلق يتبين لنا ، أن علم النفس عند المدرسة الشيوعية لا ينفصل عن الفلسفة المادية الماركسية اللينينية ، اذن أن علم النفس الماركسي (35) ، يفسر كل نشاط الانسان بالعوامل المادية ويعلل ذلك بما يلي : « ان المادة هي وحدها الجوهر الذي تفسر جميع ظواهر الحياة ، وجميع أحوال النفس ، ويطلق المذهب المادى فى علم النفس على القول ان جميع أحوال الشعور ظواهر ثانوية ناشئة عن الظواهر الفيزيولوجية المقابلة لها » (36) .

اما العلماء الاكاديميون السوفييتيون فيعرفون علم النفس بما يلي : « علم يتناول واحدا من جوانب التفاعل بين الذات والموضوع، وموضوع علم النفس هو النشاط النفسى » .

(33) ان الشيوعية والماركسية تطلقان على مسمى واحد .

(34) انظر : ستالين - المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، ص 46 - 51 .

(35) نسبة الى كارل ماركس (1818 - 1883) مؤسس الشيوعية العلمية القائمة على الفلسفة المادية والمادية التاريخية أهم كتبه : رأس المال ، بؤس الفلسفة ، نقد الاقتصاد السياسى نقد برنامج غوتا .
(36) انظر : جميل صليبا ، المعجم الفلسفى ج 2 - ص 309 .

وقد ظهر علم النفس كعلم مؤسس على المادية الجدلية (37) في الاتحاد السوفياتي ويطلق علم النفس العلمى من النظرية الماركسية اللينينية (38) فى المعرفة ، وأسسها العمل الطبيعى هو نظرية الانعكاسات فى النفس ، التى شرحها سيخينوف (39) وطورها بافلوف (40) (الموسوعة الفلسفية السوفاتية ص 312)

ان المدرسة الماركسية لا تبحث الا فيما هو موجود ، أى لا تعترف الا بالجانب المادى ، أما النفس فلا يمكن اثباتها كمادة وهى غير قابلة للملاحظة والتجريب . وان الدماغ

(37) هى النظرية العامة للماركسية ، وتسمى كذلك بالمادية الديالكتيكية لان أسلوبها فى النظر الى حوادث الطبيعة ، أو طريققتها فى البحث والمعرفة هى ديالكتيكية - اظهر تماسك المتناقضات ووحدتها ، ويكشف عن المبدأ الذى يقوم عليه هذا التماسك - اما المادية التاريخية فتوسع نطاق مبادئ المادية الديالكتيكية حتى تشمل دراسة الحياة الاجتماعية . وتطبق هذه المبادئ على حوادث الحياة الاجتماعية ، أى درس تاريخ المجتمع .

(38) نسبة الى فلاديمير ايليتش (1870 - 1924) . مؤسس الدولة السوفيتية أهم آثاره : الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية . المادية والتجريبية النقدية . تميزت اللينينية بالدكتاتورية والاشراف على الشؤون العامة عن طريق الدكتاتورية الفردية .

(39) سيخينوف (1829 - 1905) أبو الفسيولوجيا الروسية ومؤسس علم النفس المادى فى روسيا وكان أستاذا فى جامعة موسكو وكان له دور نشيط فى الاسهام فى المعرفة المادية أهم مؤلفاته : الموضوع والفكر والواقع .

(40) بافلوف : (1849 - 1926) عالم طبيعى روسي اكتشف المنعكسات الشرطية وضبط آلياتها ، ويوفر مذهب بافلوف ككل على الاساس العلمى الطبيعى لعلم النفس المادى مؤلفاته : عشرون عاما من الدراسة الموضوعية للنشاط العصبى الاعلى عند الحيوانات .

وفعاليتته هو مصدر حركة الجسم بواسطة الاعصاب فلا قوة بدون مادة ولا مادة بدون قوة .

أما الفروق الفردية التي نلاحظها عند الافراد فما هي الا مخلفات وانعكاسات اجتماعية ، واقتصادية صنعها الاستغلاليون للمحافظة على مصالحهم الاقتصادية (41) .

مناقشة :

أ - ان علم النفس الماركسى حين نفى القوى اللامادية بدعوى أن النفس يصعب البرهنة عليها ، فهل تستطيع النزعة المادية ، أن تجهل وتنكر المشاعر النفسية والقلق والغضب ، والانفعال ، والعواطف التي لا يمكن اثباتها ماديا ؟ وهل تستطيع هذه النزعة المادية ان تغفل تأثير الحالات النفسية فى عضويتنا كما يؤكد علم الفلولوجيا الحديث ؟ ذلك أن علم الطب السيكوسوماتى (42) قد أكد أن هناك أمراضا نفسية كمرض العصاب (43) ، لا تعود علته الى الجانب الفزيولوجى بقدر ما تعود علته الى الحالة النفسية . وأمام هذه الظاهرة أصبح العلم عاجزا عن حل هذه العقدة وما يعجز الانسان عن اثبات

(41) انظر : ستالين ، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، ص : 106 - 107 .

(42) هذا الطب يؤكد أثر العوامل النفسية والاجتماعية فى الامراض النفسية الراهنة ، دون أن يهمل العوامل الجسمية .

(43) العصاب : مرض نفسى كالانفعالات المكبوتة والصدمات والصراع الداخلى ، ويتجلى هذا المرض الخطير فى أعراض الهستيريا كفقدان الذاكرة والادراك ، وقد تكون حالة جسدية كفقدان احدى الوظائف لحاسة من حواسنا كالعمى والصم ... الخ .

وجوده تجريبيًا لا يعنى عدم وجوده ، بل يعنى عجز الانسان وقصوره عن فهمه . ونحن لا يحق لنا أن ننظر الى الانسان نظرة تحليلية ، مقطعة ، بل علينا أن ننظر الى وحدته المتكاملة فى العامل الجسدى والنفسى والاجتماعى معا .

ب - أما بالنسبة الى الذكاء ، فقد أثبتت الدراسات التى أجراها عدد كبير من العلماء أن الذكاء يعتمد فى نضجه على الوراثة والبيئة (44) ، ولا يمكن أن نهمل أحد العاملين لان هناك ارتباطا وثيق الصلة بين ذكاء الابناء وآبائهم ، فنلاحظ بعض الاسر تتوارث الضعف العقلى وبعضها تتوارث الذكاء الحاد ، ولا يعنى هذا أن البيئة الاجتماعية ليس لها تأثير مباشر فى نمو الذكاء ، أو فى اخفاقه ، فهى تتيح الفرصة الكافية له لكى يبرز هذا الذكاء فى عدة أنشطة مختلفة سواء فى العلوم التقنية أو الادب أو النشاط الاجتماعى ، وقد تعمل البيئة الاجتماعية عكس ما رأيناه سابقا ، ونعنى بهذا عرقلة ظهور ونمو الذكاء ولا سيما فى البيئات المتخلفة حضاريا .

هـ - المدرسة الاسلامية وخصائصها :

بعد العرض والتحليل لبعض المدارس النفسية التى ذكرناها فى ميدان علم النفس ، يتبين لنا ، مدى اختلاف وتباين وجهة علماء النفس فى تعليل سلوك الانسان ، رغم أنها تعمل فى ميدان علم النفس وتهدف الى دراسة سلوك الفرد .

(44) انظر : أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ص 317 - 370 .
انظر : فاخر عاقل ، علم النفس ، ص 434 - 454 .

فاذا أردنا أن نقوم بتقييم هذه المدارس النفسية ، وتوضيح وجهة نظرنا في طبيعة الانسان ، قلنا بكل تأكيد ، انها أهملت النظرة الشمولية التي تتمتع بها الشخصية ، لان كل نشاط جسمي مرتبط بنشاط نفسي ... والعكس صحيح كذلك أى : أن النشاط النفسي مرتبط بالنشاط الجسدى وهكذا لا يمكن الفصل بين ما هو نفسى وجسدى .

وهذا التفاعل تمثله شخصية الانسان المؤلفة من الخصائص الجسمية والنفسية ، والاجتماعية . فهذه الجوانب تكون دائما متأزرة متكاملة لدى الانسان العادى ، وغير قابلة للانقسام أى التجزئة ، وهذا التحليل يقودنا الى أن نستنتج ، أن الشخصية تكون وحدة ثابتة للذات ، مهما اعترأها من تغير وتبدل عبر الازمات النفسية والاجتماعية ، وهذا ما يعبر عنه فى علم النفس بالهوية (45) الشخصية . وهكذا نصل الى السؤال التالى : هل المدرسة النفسية الاسلامية تختلف عند المدارس السابقة التى شرحنا وجهة نظرها فى طبيعة الانسان ؟ أم جمعت روافد هذه المدارس رغم اختلاف تياراتها ؟ ويمكن أن نجيب على هذا المشكل المطروح بما يلي :

ان المدرسة الاسلامية تنظر الى الطبيعة الانسانية وسلوكها ، نظرة واقعية فاحصة شاملة . فهى لم تسبح فى عالم المثالى كما هو الشأن عند افلاطون (46)

(45) الامر المتعلق من حيث امتيازه عن الاغيار (تعريفات الجربانى) .

(46) افلاطون (329 - 347 ق م)

فيلسوف يونانى يرى أن الحقيقة تتمثل فى المثل لا تتغير أبدا .
أهم كتبه : الجمهورية والمحاورات .

وروسو (47) وكارل ماركس . فهؤلاء قد تخيلوا وجود مجتمع خال من مظاهر الصراع النفسى والطبقى بدعوى أن كل فرد لا يمكن له أن يتعدى على حقوق الغير . لان كل فرد يقوم بواجباته وهذه الواجبات تتضمن حقوق الغير .

غير ان المدرسة الاسلامية تعترف بالطبيعة البشرية وغرائزها الكامنة فيها وانها أمر واقع ولا يمكن التنصل عنها فهذا يتنافى مع النظرية المثالية أى : عدم الاعتراف بالحالة المادية . وكان الاسلام أعلم بالطبيعة البشرية ، وأدرى بدوافعنا الفطرية التى يصعب ولا يمكن كبثها بأى حال من الاحوال ولكن تلك الغرائز قيدها ووجهها ضمن حدود معقولة ، يرضى بها العقل السليم . ولقد أشار القرآن الكريم الى أن الطبيعة الانسانية مركبة من الخير والشر ، وفيها بواعث التقوى وعوامل الفجور تتصارع فى نفوسنا . لقد أشار الله الى هذه الحقيقة فى قوله : « وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا » (الشمس : 7 - 10) وقال تعالى فى سورة يوسف : « وَمَا أَبْرَىٰ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (يوسف : 53) .

اذن لقد أشار الاسلام الى طبيعتنا الانسانية وبين فيها الجانب الخيرى والشرى . ومن خلال هذه الدراسة المبسطة ،

(47) روسو : فيلسوف فرنسى له نظريات فى التربية والحكم (و 1712 - ت 1778) أهم كتبه : ايميل - العقد الاجتماعى - .

سوف نسعى الى القاء بعض الاضواء الساطعة والكاشفة على كل دوافع الانسان ، ونوازعه الباطنية وحالته الشعورية واللاشعورية فذلك على النحو التالى :

أ - الهوى : هو عاطفة نمت على حساب بقية العواطف الاخرى . ان صاحب الهوى يرى كل شىء من خلال هواه ، وقد قالت العرب قديما : (حبك الشىء يعمى ويصم) - وهذا الهوى يكون مصحوبا بحالات انفعالية ، وصور عقلية مختلفة فهو يختلف عن الانفعال فى الشدة لانه يدوم طويلا ، أما الانفعال فشده مؤقتة . وقد دلت بعض النصوص القرآنية على هذه الظاهرة الطبيعية فى النفس الانسانية التى تعبر عن الميول التى تدفع الانسان الى ما يحب ويشتهى .

ومن الصعب جدا أن يتحرر الانسان منها ويقول الله عز وجل فى هذه الصفة النفسية :

« وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ »
(النازعات : 40) ، وقال فى آية أخرى : « فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ »
(القصص : 50) .

ب - الشعور واللاشعور :

- هناك آيات قرآنية أشارت الى دلالة الشعور واللاشعور ، وسلطت أضواءها على الحدس الشعورى الذى يتميز بادراك الحقيقة مباشرة ، وقد قال الجرجانى فى تعريفاته : « الحدس

هو سرعة انتقال الذهن من المبادئ الى المطالب « - وهذه المعرفة المباشرة تظهر فى الشعور النفسى ، الذى تمثله المعرفة القلبية .

فالرسول الكريم يقول : « ألا وان فى الجسد مضغة ، اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » . ويقول الرسول فى حديث آخر : « استفت قلبك وان أفتاك الناس وأفتوك » . وسئل مرة عن البر فقال عليه السلام : « البر ما اطمأنت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب ، والاثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر » .

ويقول الله عز وجل عن القلب الذى يهتدى الى الخير :
« **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** » (ق : 37) ويقول جل شأنه : « **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ .. أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** » (الرعد : 28) . اذن عن طريق الحدس الشعورى تستطيع أن تفرق بين الحسن والقبيح والخير والشر ، لان القلب هو العين الباصرة فى الادراك الذى يكون مدخلا للمعرفة الاستدلالية . فلا غنى للاستدلال عن الحدس ولا للحدس عن الاستدلال لان كلا منهما متمم للآخر . ولقد قال كانت (48) : الحدوس الخالية من المفاهيم عمياء ، المفاهيم الخالية من الحدوس جوفاء (49) .

(48) كانت : فيلسوف ألماني (1724 - 1804 م) فلسفته نقدية . أهم آثاره : نقد العقل العملى والعقل الخالص - نقد الحكم .
(49) انظر : جميل صليبا . المنطق ص 83 . انظر : زكريا ابراهيم - برغسون ص 105 - 134 .

هكذا نصل الى أن الاسلام سبق فلسفة كانت القائمة على
النية الطيبة والمدرسة الحديثة عند برغسون التي دحضت
التفسير العلمى الآلى .

1 - الشعور الارادى :

ان هذا الجانب تمثله ارادتنا الحرة ، فنحن نختار بين
الطرفين المتناقضين .. الخير والشر ، العدل والظلم .. وقد
عرف ابن رشد الارادة بما يلى : « قوة فيها امكان فعل أحد
المتقابلين على السواء » (50) .

فالشعور الارادى كامن فى نفوسنا فاذا ما سمحت فرصة
له ، انطلق ليتحقق فى الواقع . ويقول أرسطو فى ذلك :
ينتقل الفعل من طور الوجود بالقوة الى طور الوجود
بالفعل (51) .

اذن هناك بواعث عقلية ، تحت الانسان على فعل الخير
والابتعاد عن الشر ، والاعمال العشوائية الطائشة التى غالبا
ما تكون تحت تأثير الدوافع والميول والغرائز، فلا ارادة بدون
هذه الميول .

ولقد دلت عدة آيات قرآنية صريحة على الشعور الارادى،
ومن هذه الآيات قوله عز وجل : « يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ
أَللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى أَللّهُ، إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ » (التوبة : 32) ،
وفى آية أخرى يقول الله : « وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ

(50) انظر : مراد ومبة - المعجم الفلسفى ص 9 .

(51) ويقصد بالقوة فكرة الامكان ويقصد بالفعل قوة التحقق .

أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا» (النساء : 27) - وهناك آيات أخرى بينت أن المرء حر في عمله يوجد به قدرته الحرة . ومن هذه الآيات قوله تعالى : « فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ » (الكهف : 29) . هذه الآية الصريحة بينت أن الله ترك للعبد اختيار أفعاله لأنه حر فسوف يحاسب على نتائج أفعاله (52) . والواقع أن الانسان الراشد بحسن في أغلب الاحيان أن ضميره يحاسبه عما يقوم به من أفعال . والضمير هنا يستحسن أو يستهجن أفعالنا ويصدر أحكاما أخلاقية على سلوكنا ، ويحكم عليها فيما اذا كان خيرا أو شرا . ولقد دلت هذه الآية الكريمة على هذه الحقيقة النفسية في قوله تعالى : « لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ » (القيامة : 1 - 2) فالنفس اللوامة هنا يقصد بها الضمير الاخلاقي لأنه يحبذ أو يذم أفعالنا، مع العلم ان الشعور يسبق أحكام الضمير دائما .

2 - اللاشعور :

إذا أمعنا النظر في دراسة المدرسة الاسلامية نستطيع أن نكتشف اللاشعور وشواهد في القرآن الكريم ، ونحن نستدل على وجوده في مختلف الحالات النفسية ومن أهمها :

1 - الاحلام التي يشاهدها الانسان في نومه ، وهي لا تخضع لارادتنا الواعية ، فعندما يشرع الانسان في تحليلها

(52) ان هذا الموضوع له ارتباط بقضية العدالة الالهية - والوعد والوعيد ، ولا نريد التوسيع في هذا الجانب .

يلاحظ أنها فى أغلب الاحيان تعبر عن رغبات مكبوتة فى دنيا الواقع .

2 - أخطاء الادراك : قد ندرك بعض الموضوعات على حسب رغباتنا ودوافعنا لا كما هى فى الواقع ، ولا سيما فى الحوادث الانفعالية وفلتات اللسان . وهذه الظاهرة النفسية تعبر عن رغبات لا شعورية مكبوتة ، ويتجلى السلوك اللاشعورى حين يعجز الفرد عن مواجهة مشكلة ما مباشرة . فيلتجىء الى طرائق كثيرة غير مباشرة تعد الوسيلة الفعالة ، لتخفيف التوتر الناشئ من الرغبات المكبوتة ، وهذه الطرائق توضحها الحيل اللاشعورية أو ما يسمى آليات الدفاع (53) .

لقد أوضح القرآن الكريم بعض هذه الحيل اللاشعورية :
«الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمْسٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا» (البقرة : 275) . فتبريرهم اللاشعورى هنا يعود الى القياس الفاسد حين قالوا : انما البيع مثل الربا . غير أن القرآن الكريم فرق بين البيع والربا ، وأعطى كل شىء صفته الشرعية التى توضحه، وقال عز وجل : «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا» والعلة تعود هنا الى أن أصحاب الربا لم يتحرروا اطلاقا من النزعة المادية المفرطة التى جردتهم من القيم الاخلاقية . أما العمل التجارى

(53) راجع هذه الحيل فى هذا الكتاب لدى مدرسة التحليل النفسى .

فيتطلب المغامرة وعدم اليقين فى الربح زيادة على الجهد الفكرى والعضىلى ، والاخلاقى .

ومهما يكن هناك آيات أخرى ، دلت على الجانب الخفى للنفس . وان الظاهرة اللاشعورية أمر واقع لا يمكن انكارها أو تجاهلها . فقد أثبت القرآن الكريم هذه الحقيقة النفسية فى عدة آيات قرآنية كقوله تعالى : « يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ » (البقرة : 9) . « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ » (البقرة : 12 - 11) « وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ » (آل عمران : 69) .

3 - تقييم ومقارنة :

ان هذه الدراسة المبسطة هنا ، قد قدمت لنا بعض ملامح علم النفس الاسلامى وخصائصه . ولو قمنا باستقراء شامل لآيات القرآن الكريم فجمعناها وصنفناها على حسب الابواب والفصول مع التحليل والتركيب والمقارنة مع المدارس النفسية المعاصرة ، لخرجنا بمدرسة نفسية قرآنية جمعت كل المدارس النفسية المعاصرة ، فهذه المدارس حين قمنا بتقييمها ، تبين لنا أنها قد أغفلت النظرة الشمولية لسلوك وطبيعة الانسان .

فالمدرسة السلوكية التى تزعمها واطسن قد اعتمدت على الجانب التجريبي فقط ، مهملة الحالات الشعورية والقدرات الذهنية وكذلك الامر بالنسبة الى المدرسة الشيوعية .

أما مدرسة التحليل النفسى التى تزعمها فرويد فهى بدورها ركزت على الجانب اللاشعورى من النفس . جاهلة حاضرا الانسان ومستقبله . ولا يفوتنا أن نذكر كذلك المدرسة النفسية التى تزعمها وليام جيمس وبرغسون وأعطت الأهمية لفكرة الشعور المدسى ، متجاهلة العوامل التجريبية واللاشعورية .

ان عالم النفس اليوم لا يمكن بأى حال أن يستغنى عن هذه المدارس ومناهجها لدراسة سلوك الانسان ، وان القرآن الكريم قد أشار الى هذه المناهج موضعا طبيعة الانسان ووضع أقوم الاسس النفسية لعلاج طبيعة البشر التى تتخبط فيها . ولقد تحدى القرآن الكريم كل هذه المدارس النفسية ، وبين الله أن هذا القرآن العظيم يهذى الى الطريق القويم وهو القائل : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ » (الاسرار : 9) .

الباب الثانى

تحليل نظرية فرويد الجنسية

(أ) حياة سيجموند فرويد (1856 - 1939) :

من هو فرويد ؟

ان فرويد طبيب نمساوى من أصل يهودى رغم أنه قد ولد فى مدينة فريبورج السويسرية (54) ، ومات فى لندن سنة 1939 .

يعد أحد أقطاب النظريات السيكلوجية فى ميدان علم النفس التحليلى، وكان يرى أن اللذة الجنسية هى المحرك الاول فى حوافز اللاشعور .

وان بسط علم النفس الفرويدى وعرضه ثم شرحه شرحا كافيا ليس بالامر الهين ، بل ان هذا العمل يتطلب عدة دراسات واسعة وعميقة ، فرغم هذا نحن نجازف بتقديم هذه

(54) انظر : كتاب علم النفس عند فرويد ، ص 5 .

انظر الموسوعة الفلسفية السوفياتية ، ص 331 .

الدراسة التى سوف تلقى أضواء كاشفة على فروضه النفسية ،
ونبين مدى صحتها وفسادها فى المجتمع البشرى عامة ،
والمجتمع الاسلامى خاصة معتمدين على النقد المنهجى ، وعلى
الناقد أن ينظر الى شخصية فرويد من زاويتين :

I - البيئة الاجتماعية التى نشأ فيها ، وتأثر بثقافتها التى
تشتمل على القيم الدينية ، والاخلاقية ، والعادات والمفاهيم
العلمية ... الخ .

2 - الحياة العلمية الاوروبية التى تركت بصمات قوية فى
تفكيره ، وآرائه التى لا يمكن أن نقول : ان فرويد كان بعيدا
عن هذين العاملين الاساسين ؛ ولقد قيل عنه « هناك اجماع
على القول ان فرويد كان مراقبا ذكيا ونافذ البصر للمشكلات
الاساسية للشخصية . بيد أن فرويد ، فى طرحه وتأويله لهذه
المشكلات ، كان أسير ثقافته الخاصة . ولم تكن عبقريته قادرة
على ان تكشف له عن التطورات الثقافية التى يترعرع بين
ظهرانيها اليوم الاشخاص العاديون » (55) .

ان مضمون هذه الفكرة كلية ، تنطبق على المذهب الفرويدى
الذى لم يستطع أن يتحرر من ثقافة مجتمعه . ولقد اتضح
للعلماء أن كثيرا من الظواهر النفسية وأنواع السلوك التى
كان يعتقد أنها تعود الى عوامل وراثية ، فهى فى الواقع تعود
الى الثقافة الاجتماعية .

(55) انظر : دراسات عربية العدد الثالث - كانون الثانى سنة 1982 .

ومهما يكن فان الانسان اجتماعى بالفطرة وظاهرة التجمع من طبيعة الكائنات الحية موجودة عند الانسان ، كما هى موجودة لدى كل أصناف الحيوانات ، فالانسان منذ طفولته الاولى فى حاجة الى من يؤمن له متطلباته ويحرص على تنشئته ويكسبه قيما اخلاقية ودينية وضروبا من السلوك ، وهذا النشاط العام هو الذى يمكن أن نسميه ثقافة (56) .

— فرويد وثقافة مجتمعه :

ولكن مجتمع له ثقافته الخاصة ، وتشكل العنصر الاساسى فى المعتقدات والشعائر ، والممارسات الدينية أمام الله عز وجل . فهنا لا يغيب عن ذهننا أن فرويد يهودى مثل الثقافة العبرية والمسيحية خير تمثيل — فهذه الثقافة تنظر الى طبيعة الانسان ، بنظرة تناقض النظرة الاسلامية . فالكنيسة المسيحية ترى أن الانسان الافضل هو الذى يلزم نفسه بكبت غرائزه الجنسية وقهرها ... والا سقط فى حماة الشيطان ، فهذا يتناقض مع طبيعة الانسان والشرعية الاسلامية . ان الله عز وجل قد حارب الرهبانية (57) فى عدة آيات، ومن هذه الآيات قوله تعالى : « وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا » (الحديد : 27) . ومن هذا المنطلق نستنتج أن فرويد كان عبدا لثقافة مجتمعه الذى

-
- (56) المصطلح يعنى جمع النشاطات والاهتمامات المميزة لشعب ما .
 - المدلول الاجتماعى أو العام . للثقافة هو الحضارة (مراد وهبة) .
 - (57) الرهبانية : الزهد والتغلى عن طببات الدنيا .

يكبح الدافع الجنسي ، واهدار كرامة المرأة التى تعد أقل بكثير من الرجال .

وهذه الحضارة المسيحية تجعل الرجال يرددون فى صلواتهم اليومية : « اشكرك يا رب ، لانك لم تخلقنى امرأة ، ويدفع بالمرأة الى أن تجيب بخنوع فى صلاتها: اشكرك يا رب لانك خلقتنى وفق ارادتك » (58) . هكذا أراد فرويد أن يطبق نتائج الحضارة المسيحية وكتبها على جميع الثقافات الانسانية بدون تمييز .

ب - الثرات العلمى الذى نشأ فيه فرويد :

ان حياة فرويد تمتد بين عامى 1856 - 1939 (I) وقد تميزت هذه الفترة بالابداع والابتكارات والاكتشافات الجديدة . وفى سنة 1859 ظهر الى الوجود كتاب أصل الانواع لداروين (59) الذى فسر تطور الانسان تفسيراً بيولوجياً خالصاً، وهو القائل : « ان الانسان لا يختلف عن سائر أنواع المملكة الحيوانية » .

وبعد فترة وجيزة ، ظهرت المدرسة النفسية التجريبية التى أسسها العالم الالمانى (فونت 1832 - 1920) وأسس أول معمل لعلم النفس التجريبى ، وتقوم هذه المدرسة على دراسة

(58) انظر : دنوال السعداوى - الانثى هى الاصل ، ص 27 .

انظر : دراسات عربية العدد الثالث سنة 1982 ، ص 130 .

انظر د . على زيعود - مذاهب علم النفس ، ص 211 - 212 .

(59) داروين (1809 - 1882) عالم بيولوجى انكليزى ، اهتم بدراسة

تحول الانواع وأصلها . وهو القائل بتنازع البقاء وبقاء الاصلح .

الخبرات الشعورية كالادراك وقياس الذكاء معتمدة على الجانب التجريبي فقط . ثم ازدهرت العلوم الوراثية على يد العالم جريجور ماندل (60) وبفضله ظهر علم الوراثة الحديث .

أما في منتصف القرن الثامن عشر ، فقد وضع هرمان فون هلمهولتز (61) القانون الفزيائي الذي ينص : أن الطاقة لا تفنى وأنها تتحول من صورة الى صورة أخرى . وهكذا أصبح مبدأ الطاقة كمًّا ، كما أن الكتلة كمًّا أيضا . فهذه العلوم قد أثرت في العلماء ولاسيما ارسنت بروكه الذي كان باحثا ومديرا عاما لمعمل الفزيولوجيا في جامعة فيينا ، حيث أعلن في محاضراته الفزولوجيا أن الكائن الحي له نظام ديناميكي تنطبق عليه قوانين الكيمياء والفزياء .

فلقد أعجب فرويد بهذا البحث ، متحمسا ومؤمنا بعلم الفزولوجيا الديناميكية . وطبق هذا المبدأ - أى قانون الديناميكا بعد عشرين سنة على شخصية الانسان كما يطبق على العلوم الفزيولوجية ، فشرع في اكتشاف علم النفس الديناميكي الذي يدرس ما يطرأ على الطاقة النفسية من ألوان التحول ، والتبديل في داخل الشخصية .

والحق أن هذه الاكتشافات التي ذكرناها قد أثرت بطريقة مباشرة وغير مباشرة في أفكار فرويد ، ثم أخذ يطبق هذه

(60) ماندل : (1822 - 1884) عالم نباتي نمساوي تحقق بالتجربة قانون التوارث المعروف باسمه .

(61) انظر : د. كالقز بن هول ترجمة عبد العزيز سلامة وأحمد عثمان علم النفس عند فرويد ، ص 7 - 18 .

العلوم التجريبية على مرضاه ، سابرا أغوار حياتهم العقلية .
فهكذا برزت لديه بالتدريج فكرة القوى اللاشعورية ،
وانصرف فرويد عن علم وظائف الاعضاء ، وعلم الاعصاب
الى علم النفس التحليلي ، الذى يعتمد على اخراج الرغبات
المكبوتة من اللاشعور الى الشعور .

1 - الانجازات العلمية التى حققها فرويد :

ان الانجازات العلمية التى حققها فرويد تتمثل فى علم
النفس الديناميكي (62) الذى قال عنه : « لقد توجهت حياتي
كلها نحو هدف واحد ، ألا وهو استنباط أو تصور الهيئة التى
يتركب عليها الجهاز النفسى والقوى التى تتفاعل وتتضاد
فيه » (63) .

وقد طبق هذا المبدأ على حياته النفسية ودرس العوامل
الديناميكية العميقة فيه ، ثم حلل أحلامه ، مع خبرة وتجارب
اكتسبها من مرضاه الذين أصيبوا بالانحرافات السلوكية
والامراض النفسية خاصة أولئك المصابين ... أما بالنسبة
الى الطب فلم يمارسه الا اضطرارا رغم أنه تلقى درجة
مشرقة فى الطب العام من جامعة فيينا سنة 1881 .

(62) علم النفس الديناميكي . يطلق هذا العلم على دراسة الحالات
النفسية فى الشخصية لاتصافها بالحركة والتبدل .

(63) انظر : علم النفس عند فرويد ، ص 9 .

2 - مؤلفات فرويد (64) :

لم يكن العالم النفساني فرويد كثير المؤلفات ، غير أنه ساهم بنشاطه الفكري في المقالات والابحاث التي كان يحورها في الصحف العلمية ، ومع كل هذا فلا بد من الاشارة الى أهم آثاره الفكرية .

ان من أهم كتبه ، تفسير الاحلام الذي ظهر خلال سنة 1900 ولم يقرأ هذا الكتاب الا بعض القراء .

أما الدوائر الطبية والادبية فقد أهملته، فرغم الاهمال الذي لقي هذا الكتاب استمر في الانتاج العلمى . ففي سنة 1904 ، ظهر له الانحرافات النفسية فى الحياة اليومية .

وهذا الكتاب يعالج فلتات اللسان وأخطاء الذاكرة وربطها بالدوافع اللاشعورية ، وفى سنة 1905 ظهر له كتابه الشهير - دراسات فى الهيستريا .

وبعد هذا النشاط الفكرى شرع فى اصدار عدة كتب تدور كلها حول منهج التحليل النفسى، أهمها : كتاب القلق - ومعالم التحليل النفسى - والتوتم والتابو - وما فوق مبدأ اللذة - وحياتى .

غير أن كتابه الأهم هو - ثلاث مقالات فى الجنس، ويعد هذا الكتاب فى رأى علماء النفس أهم كتب فرويد جميعا ، ما عدا

(64) انظر : علم النفس عند فرويد ، ص 11 - 14 .

انظر : ملامح الفكر الاوروبى المعاصر ، ص 62 - 63 .

انظر : الموسوعة العربية .

كتابه تفسير الاحلام ، فقد بين فى هذا الكتاب أثر الغريزة الجنسية وسيطرتها على سلوك الشخص والحضارة البشرية .

وكان لنظريته أعمق الاثر فى الدراسات الانسانية كعلم النفس والاقتصاد والتاريخ وعلم الاجتماع والادب والفن ... الخ .

ج - تحليل مدرسة فرويد الجنسية :

ان مدرسة فرويد تتكون من النظريات التالية :

أ - نظرية القوى النفسية .

ب - نظرية الجهاز النفسى .

ح - نظرية نمو الوظيفة الجنسية .

أ - نظرية القوى النفسية : ان فرويد يعنى بهذه الفكرة ، أن الجانب النفسى لدى الفرد ليس هو الشعور فقط ، بل هناك الجانب اللاشعورى الذى يوجه حياتنا النفسية ، عن طريق الديناميكية المتمثلة فى النشاط والحركة والفعل .

والقوى النفسية تنقسم الى ما يلى :

(I) الشعور - واللاشعور - وما قبل الشعور - ويقول فرويد : « ان العقل البشرى يمكن مقارنته بقطعة كبيرة من الثلج يطفو جزء صغير منها فوق سطح الماء ، ولكن معظمها مختف تحت السطح ... ويقول : ان جزءا كبيرا من العقول مختف فى اللاشعور ، فهناك تحت سطح الشعور العديد من

الدوافع والمشاعر والاغراض التى يخفيها الانسان ليس فقط
عن الآخرين وانما أيضا عن نفسه » (65) .

وأقام الدليل على وجود اللاشعور عن طريق الاحلام
وأخطاء الادراك وفلتات اللسان .

ب - نظرية الجهاز النفسى :

ان الانسان يلاحظ أن هناك تفاوتاً بين الناس ، من حيث
الخصائص الفزيولوجية والذكاء ، والقدرات الذهنية والامزجة
الخلقية والاجتماعية - فهذه الخصائص هى التى تميز الشخص
عن غيره .. لذا قد عرفت الشخصية عند البعض : انها جملة
الصفات الجسمية والعقلية والخلقية والمزاجية والاجتماعية
التي تميز الشخص عن غيره تمييزاً واضحاً (66) ، أما فرويد
فينص على أن الشخصية تنظم حركى داخلى لعوامل نفسية
وجسدية تمثلها الاجهزة الثلاثة فهى : الهو - الانا - الاعلى .

1 - الهو : يضم الدوافع الفطرية والجنسية والعدوانية
يسوده مبدأ اللذة الذى يدفع الفرد الى تحقيق رغباته الجنسية
والعدوانية، فهو لا يخضع للقيم الاخلاقية والمنطق ، بل يتميز
دائماً بالعدوانية والانانية .

(65) انظر : صلاح الدين - ملامح الفكر الاوروبى المعاصر ، ص 53 .

(66) انظر : أحمد عزت راجع أصول علم النفس ، ص 393 .

2 - **الانا** : هو مبدأ الواقع الذى يحمل الفرد على ارجاء اشباع رغبات الهوى أو التنازل عنها حسب ما يقتضيه الواقع الاجتماعى، ويكون متصلا بالعالم الخارجى ، ويقوم بدور الحاكم والحارس الحازم بين الهوى والانا الاعلى ، فعن طريقه تتحقق أفعالنا الارادية .

3 - **الانا الاعلى** : هو الجانب النفسى اللاشعورى ويشكل الضمير الخلقى والمثل العليا التى اكتسبها الفرد من البيئة الاجتماعية . فعمل الانا الاعلى الرئيسى هو ممارسة رقابة حقيقية على دوافع الهوى . وان الانا الاعلى فى صراع دائم مع الهوى وكلاهما لاشعورى - ولقد لخص كالثن س . هول - هذه الاجهزة الثلاثة فيما يلى : « الهوى يعد نتيجة للنشوء والتطور ، والمثل السيكلوجى لما لدى الفرد من فطرة بيولوجية ، والانا تعد نتيجة لما يحدث بين الفرد والواقع الموضوعى من تفاعل والمسرح الذى تقوم عليه العمليات العقلية العليا . اما الانا العليا فانه يمكن أن نعدّها نتيجة لعملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية ووعاء للتقاليد والاصول الحضارية » (67) .

وهذه الاجهزة الثلاثة تنسجم انسجاما تاما وموحدا عند الانسان العادى . فهذا يعود الى دور الانا الذى يقوم بالمهمة التوفيقية العسيرة بين الطاقات الثلاث ليوفق بينها جميعا . وأن يلبي رغباتها على حسب الواقع الاجتماعى . أما اذا كانت هذه الاجهزة الثلاثة متنافرة متصارعة لدى الشخص فيختل التوازن النفسى عنده . فتظهر لديه الاضطرابات النفسية

(67) انظر : علم النفس عند فرويد ، ص 35 .

والعقلية المتمثلة فى مرض العصاب الذى يتجلى فى عدة صور نفسية كالقلق ، والوسواس ، وأفعال قهرية يؤدىها المريض على الرغم من ارادته فلا تعالج هذه الامراض الا عن طريق التحليل النفسى .

ح - نظرية نمو الغريزة الجنسية وتطورها :

ان فرويد يقصد بهذه الفكرة ، أن أى مولود سواء كان ذكرا أو أنثى يمر بالمراحل التالية :

I المرحلة الفمية - والمرحلة الاستية، وأخيرا المرحلة القضيبية (68) .

والواقع أن هذه النظرية تعبر عن الهو المشحون بالطاقة النفسية الذى يسميه - بالليبيدو - (69) وهذه الطاقة النفسية يعتبرها اللبنة الاولى والموجهة للسلوك وأن الانجازات التى قام بها الانسان فى مظاهر الحضارة كالادب والعلم والنحت والرسم والفن والدين ما هى الا تطوير وانعكاس لهذا الليبيدو ، الذى لا يستقر على حال سواء فى عالم الاطفال أو عالم الراشدين .

أما عالم الاطفال فيشمل على الانشطة التالية : امتصاص الاصبع ، والتبرز ، ورضاعة الزجاجات .

(68) انظر : علم النفس عند فرويد ، ص 126 .

(69) كلمة لاتينية ، تفيد معنى الشهوة التى تدفعنا الى غريزة البقاء فى الحياة .

فبعد فترة البلوغ فإن الليبيدو ينتقل الى الانسان الذى نوده ، وذلك عن طريق عاطفة الحب التى تدفعنا الى الزواج أما اذا كبتت هذه الطاقة النفسية فانها سوف تأخذ شكل انحراف جنسى عند الرجل والمرأة على السواء .

وخلاصة القول : أن نظرية الليبيدو هى جوهر مذهب التحليل النفسى الذى بنى عليها مدرسته (70) .

د - ديناميكية الشخصية والغريزة الجنسية (71) :

لقد رأينا فى الفصل السابق ، أن فرويد يؤكد أن ديناميكية الشخصية تتحكم فيها الغريزة الجنسية . وكل كبت لها يؤدى الى الامراض النفسية والعقلية ، فكان لفرويد الفضل فى ابراز أهمية الوظيفة الجنسية فى الصحة النفسية . وجدير بالذكر أن هذا الدافع لا يظهر جليا وناضجا الا بعد سن المراهقة .

غير أن الغريزة الجنسية عند فرويد تشتمل على مناطق أخرى من الجسم بغية الحصول على اللذة، فذلك عن طريق المناطق الشبقية الرئيسية . فهى - الفم - والشرج -

(70) راجع النقد فى الفصول القادمة .

(71) الغريزة : هى الدافع الحيوى الاصلى لنشاط الكائن الحي ، حفظا لبقائه ، وذلك بالاقبال على الملائم والاحجام عن المنافى (مراد وهبه) الا أن فرويد يفرق بين غريزة الحياة وغريزة الموت ، ويقول ان غريزة الحياة مؤلفة من الليبيدو ، أى الطاقة الحيوية ، أو الغريزة الباحثة عن اللذة الجنسية المؤدية الى بقاء الحياة . أما غريزة الموت فهى مؤلفة من الافعال العدوانية الهدامة المؤدية الى ارجاع الحياة الى المادة الجامدة . (جميل صليبا ، ج 2 م ف) .

والاعضاء التناسلية . ان الفم مرتبط بتناول الطعام ،
والشرح مرتبط باخراج الفضلات ، أما الاعضاء التناسلية
فمرتبطة بالتكاثر .

ومن خلال هذا التحليل يؤكد أن الحياة الجنسية بالمفهوم
العادى لا تظهر ملامحها الا فى مرحلة المراهقة بعد قطع مرحلة
الكمون الجنسى (72) . وهذه المرحلة تسبقها المرحلة الفمية
والمرحلة الشرجية التى تستمتع بها على حسب نظرية فرويد .
وعن طريق هذه الاعضاء ، يتم الحصول على اللذة الشبقية
الاولى ، والشبقية تدل على التهيج الجنسى أما فى الامراض
النفسية فتدل الشبقية على الافراط الكلى فى الاستجابات
الجنسية والانحرافات فى السلوك الجنسى ، والتسمية قد
جاءت من ايروس اله الحب عند الاغريق وابن افروديت (73) .

هـ - الاعضاء الجنسية واللذة :

ان الاعضاء التناسلية هى المنطقة الثالثة التى تجلب لنا
اللذة . وعن طريق هذه الاعضاء يشبع الانسان حاجته الجنسية
ويظهر الدافع الجنسى بوضوح عندما يتم النضج الجنسى ، فى
نهاية مرحلة المراهقة فينتقل الانسان حينئذ الى مرحلة
الاستقرار والثبات وهى اتجاه الغريزة الجنسية نحو الجنس
المعاكس لاشباعها بدون انحراف فى السلوك الجنسى هذا . اذا
لم تكبت الغريزة .

(72) الفترة الواقعة من السنة الخامسة الى سن البلوغ .

(73) انظر : د . اسعد رزوق - موسوعة علم النفس ، ص 166 .

الا أن فرويد يرى أن هذه المرحلة تسبقها مرحلة معينة هامة سماها بالمرحلة القضيبية عند الذكر والانثى (74) . وهذه المرحلة تترك سمات جوهرية ونفسية عند الولد والبنت في حياتهما الاولى . وتجعل حدا فاصلا يبين نفسيتهما الى الابد . ولقد لخصت العاملة كارين هورنى أفكار فرويد ونظرية التحليل النفسى فى هذا الجدول ووضحت الاختلافات النفسية بين نفسية الولد والبنت .

أ - أفكار الولد :

- 1 - التصور الساذج أن البنات مثل الاولاد لهن عضو الذكر ،
- 2 - اكتشاف أن البنات ليس عندهن عضو الذكر ،
- 3 - اعتناق الفكرة أن البنت ليست الا ذكرا مخصيا أو مشوها ،
- 4 - الاعتقاد بأن البنت تلقت العقاب الذى يهدده أيضا ،
- 5 - النظر الى البنت كجنس أدنى منه ،
- 6 - عجز الولد عن تصور كيف يمكن للبنات أن تعوض هذا النقص أو الحسد .

(74) راجع علم النفس عند فرويد ، ص 130 - 135 .

(75) عالمية أمريكية تعتبر من رائدات الاتجاه الجديد فى تحرير المرأة من علم النفس الفرويدى .

ب - أفكار عن تطور الانوثة :

1 - انه عضو الذكر وحده الذى يمكن أن يلعب أى دور فى كلا الجنسين .

2 - الاكتشاف الحزين بأن عضو الذكر غير موجود .

3 - اعتناق الفكرة بأن البنت كانت تمتلك فى يوم ما عضو الذكر ثم فقدته بسبب الاخضاء .

4 - الاعتقاد بأن الاخضاء كان نوعا من العقاب الذى أصابها .

5 - نظرة البنت الى نفسها كجنس أدنى من الذكر .

6 - عجز البنت الابدئ عن التخلص من الاحساس بالنقص والوضع الادنى من الذكر ، وعليها أن تتحكم على الدوام فى رغبتها لان تكون رجلا .

7 - رغبة البنت طوال حياتها كلها فى الانتقام من الرجل بسبب امتلاكه للعضو الذى فقدته (76) .

ولقد أكدت هورنى فى تحليلاتها الدراسية خطأ هذه الافكار - وتقول : اننا لو حررنا عقولنا من تلك الافكار الذكورية فاننا سنرى موضوع سيكلوجية الانثى على نحو مختلف تماما .

(76) انظر : د . نوال السعداوى ، الانثى هى الاصل ، ص 91 .

ومن المدير بالذكر هنا ، أن فرويد يقوم بالتمييز في أحداث المرحلة القضيبية عند الذكر والانثى في مرحلتها الاولى فهي كما يلي :

1 - المرحلة القضيبية عند الولد :

ان المرحلة القضيبية عند الذكر ، تبدأ ما بين السنة الثالثة والخامسة . ويرتكز اهتمام الولد على اكتشاف أعضائه التناسلية ، ففي هذه الفترة تكون علاقات الطفل العاطفية والاجتماعية قد أخذت تنمو وتتعدد بظهور عقدة أديب .

فالولد يتقمص شخصية أبيه في سلوكه الجنسي ، ويعشق أمه فتنمو لديه مشاعر الغيرة والعدوان ضد أبيه ، وهكذا فان الطفل يريد الاستحواذ جنسيا على أمه . الا أن هذا الدافع الجنسي يبقى مكبوتا في اللاشعور ، وهذه الفرضية يسميها فرويد - عقدة أديب ، فقد اقتبس هذه الفكرة من الاسطورة اليونانية التي تقص أن أوديب بن لا يوس ملك طيبة الاغريقية كتب عليه أن يقتل أباه فتزوج أمه دون أن يعلم حقيقة ما فعله ، وحينما اكتشف ذلك قتل نفسه (78) . وفي هذه المرحلة بالذات ، يتعرض الطفل الى كبت جديد حينما يلاحظ أن البنث لا تملك الاعضاء التناسلية مثله ، فالبنث في نظره قد تعرضت واجتازت عملية الخصاء ، ويسرى فيه الخوف المرتبط

(77) مصطلح يدل على تطور واكتشاف الاعضاء التناسلية عند الطفل والبنث .

(78) انظر : أحمد عزت راجح - أصول علم النفس ، ص 122 .

انظر : جميل صليبا - م ، ف - ج 2 - ص 83 .

بفكرة حرمانه من طاقته الجنسية التي تميزه عن البنت -
وهذه العقدة تبقى كامنة في اللاشعور (79) .

2 - المرحلة القضيبيية عند البنت :

ان البنت في المرحلة الثانية والثالثة من عمرها . تشعر
أنها لا تملك ما للذكر من أعضاء جنسية خارجية ملحوظة،
فتشعر حينئذ أنها قد تعرضت لعملية الاخصاء (80) . وفي
هذه الحالة توجه اللوم الى أمها وتمقتها ، فيتحول حبها الى
أبيها ، وتتعلق به عاطفيا وجنسيا . وتستحوذ عليه لانه
يعوضها عما فقدته . وتظن أنها فقدت شيئا عزيزا عندها
وعند أمها . وهذا الشيء هو أعضاء الذكورة . وتتميز هذه
العقدة النفسية بتعلق البنت بوالدها والهيام به وشعورها
بالعداء المحكم نحو أمها . وقد أطلق فرويد على هذه الافكار
المكبوتة ، مصطلحا نفسيا سماه - عقدة الكترا - (نسبة الى
الكترا بنت أغا ممنون التي ساعدت أخاها أورست على الاخذ
بثأر أبيها من أمها التي اشتركت في قتله) (81)، ومن مميزات
هذه العقدة تعلق البنت بوالدها جنسيا، غير أن هذه الفكرة
المكبوتة ، تبقى في اللاشعور نتيجة تصارع عواطف الفتاة بين
الاتا الاعلى والهو .

ورب سائل يسأل كيف الخلاص من هذه العقد ؟

(79) انظر : النقد في الفصل القادم .

(80) اشارة الى بتر الاعضاء التناسلية عند الذكر .

(81) انظر : موسوعة علم النفس ، ص 209 لاسعد لنق .

انظر : علم النفس عند فرويد ، ص : 136 - 137 لكالفن س. هول .

يقول فرويد فى هذا الصدد : ان الشخص بعدما ينضج
فانه عادة ما يتخلص من الدوافع الاوديبية ... ولكن الاشخاص
الضعاف لا ينجحون فى التخلص من الروابط الابوية ...
وهكذا يقعون فى سلسلة من الامراض النفسية (82) .
ويرى فرويد أن الامراض النفسية كلها هى اضطرابات
فى الوظيفة الجنسية .

و - الوظيفة الجنسية وسلوك الانسان :

ان الوظيفة الجنسية تكمن فى الهو . والهو يمثل قاعدة
الانسان ، وماهيته تبقى كما هى بدون تبديل وتغيير ،
ولا يستقيم مدى حياة الانسان . فهو لا يتحمل الانتظار
والانفعالات والقهر الاجتماعى ولا يصبر ازاء القيم الخلقية ،
يريد التخلص من أى توتر يرغب فى الاشباع المستمر ،
يجرى وراء اللذة دائما ويشترىها بأى ثمن .

فاذا لم يحقق رغباته ، فانه يحققها بوسائل مختلفة فى
أحلام اليقظة أو النوم أو فى انحرافات جنسية . لقد وصف
فرويد طبيعة الهو قائلا : « ان الهو هو ذلك الجزء الخامض من
الشخصية الذى لا سبيل الى الوصول اليه ، والذى لم نحصل
عنه الا القليل من العلم عن طريق دراسة الاجلام » (83) .

وخلاصة القول أن فرويد يعتبر أن الغريزة الجنسية هى
الموجهة الاولى فى السلوك وكل التحليلات النفسية تعتمد على
حل هذه العقدة الكامنة فى الهو .

(82) انظر : ملامح الفكر الاوروبى المعاصر ، ص 58 - 59 .

(83) انظر : ملامح الفكر الاوروبى المعاصر لصالح عدس ، ص 76 .

راجع علم النفس عند فرويد لكالقرن بن هول ، ص 26 .

الباب الثالث

الاسلام وتهافت نظرية فرويد الجنسية

أ - نقد التحليل النفسى عند فرويد ورأى الاسلام فيه :

رأينا فيما سبق كيف حلل فرويد بناء الشخصية ، حين أرجعها الى الاجهزة الثلاثة : الهو - الانا - والانا العليا .

ان هذه المفاهيم أساسية وحاسمة فى منهج التحليل النفسى الفرويدى . ومعنى هذا أن الذات تمتلك آلة دفاعية لا شعورية التى تساعد على التكيف مع الوسط الاجتماعى .

غير أن افتراض فرويد بوجود اللاشعور لم يكن جديدا فى الفكر الانسانى . ولقد كان هذا الافتراض معلوما عند بعض علماء المسلمين والاوروبيين كالفرايى، وابن سينا ، وليبنز، وشاركو، وغيرهم . وقد دلل هذا الاخير على وجوده عن طريق التنويم المغناطيسى .

أما فرويد فقد اكتشفه عن طريق تحليل الاحلام ، وفلتات اللسان وأخطاء الادراك ... الخ .

ولكن الانسان حين يمعن النظر فى بعض آيات قرآنية ،
ويدرسها دراسة نفسية منهجية ، يستنتج أنها تتحدى منهج
التحليل النفسى عند فرويد . وقد أشار القرآن الكريم الى
هذا الجانب اللاشعورى فى عدة آيات سواء على المستوى
الجماعى أو الفردى ، ومن هذه الآيات قوله عز وجل :
« وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ
السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ » (البقرة : 13)
وفى آية أخرى يقول الله : « وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنَا مَكَرًا وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ » (النمل : 50) . وكذلك فى آية أخرى يقول الله
« وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا
أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ » (آل عمران : 69) .

ان الحقيقة التى نستنتجها من هذه الآيات الكريمة ، ان
اللاشعور ليس جديدا أو غريبا عن الفكر الاسلامى، ولكن
الامر يتعلق فى استنباطه أى استخراج الافكار من الآيات
الكريمة للوصول الى النتيجة التى نبحث عنها .

لان علم الانسان جزئى وشعوره سطحي ، لكن الجزء الاكبر
من حياتنا النفسية يختفى ويخزن فى اللاشعور ، ولا سيما
ما يثير آلامنا وعواطفنا ولا نريد ذكره . ولعل من حسن
النعم الالهية أننا ننسى الاحداث المؤلمة ، فتدخل فى دائرة
اللاشعور ، فتبقى تؤثر فى سلوكنا اليومى بطريقة لا شعورية
وننبه اليها فى الاحلام ، أو فلتات اللسان . ولكن جميع أفعالنا
وأقوالها ونياتنا وكل ما ننطق به من كلمات قد سجلت بدقة

فائقة فى كتابنا ، وان هذه الآيات التالية تبين هذه الحقيقة النفسية :

« وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا أَلْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا » (الكهف : 49) ، وفى آية أخرى يقول الله تعالى : « إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ » (الانبياء : 110) ، أما الآية التالية فتوضح أن الله يعلم كل ما تكسب « يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ » (الانعام : 3) .

لا جرم اذن أن نجد بكل تأكيد أن اللاشعور ليس بعيدا عن المدرسة النفسية الاسلامية ، ولكن الامر مرتبط فى استنتاجه من خلال النصوص القرآنية الكريمة فقط .

ومهما يكن من أمر ، فان الروح العلمية تفرض علينا أن نقول : ان فرويد له الفضل الاكبر فى ابراز منهج التحليل النفسى الذى ساعد الاطباء النفسانيين فى معالجة بعض الاضطرابات النفسية ، وانقاذ حياة الاشخاص المصابين بمرض العصاب (84) ، ثم بين أهمية النواة الاولى وأثرها فى مستقبل الشخصية ، وأكد كذلك على الطاقة الجنسية التى يؤدى كبتها الى انفصام (85) الشخصية أو الى انحرافها فى السلوك .

-
- (84) مرض نفسى يكون نتيجة الكبت ويتجلى هذا المرض فى أعراض الهستيريا كفقدان الذاكرة .
- (85) يتميز هذا المرض غالبا بالركود والخمول وعدم الحيوية ، وصاحبه يعيش فى عالم الخيال والوهم الكلى .

على أنه يجب ان نذكر هنا مرة أخرى ، أن فرويد قد وقع فى خطأ حين جعل الدافع الجنسى هو المحرك الاول فى تفسير كل حركاتنا ، وهذا الحكم قد أوقعه فى تناقضات ، والتي بينت ضعف هذه النظرية أمام العوامل الاقتصادية والفكرية والاجتماعية .

فالانسان ليس أسير ماضيه فقط ، بل يتأثر بالحاضر والمستقبل، فنحن نطرح أمامنا دائما مصيرنا ، ونريد أن لا يصبح كماضيينا بل نسعى لتحسينه، ومما زاد للطين بلة ، حين جعل الانسان كائنا بيولوجيا فقط ثم أهمل كل العوامل التى ذكرناها آنفا ، والتي أثرت ولا تزال فى سلوك الانسان الى حد الساعة .

1 - نقد عقدة أديب ورأينا فيها :

لقد أعطى فرويد أهمية عظيمة جدا ، لعقدة أديب وعقدة الكترا (86) حتى قال : « ان هذا الاكتشاف يشبه اختراع الطاقة الكهربائية والسيارة وقال : اذا قدر للتحليل النفسى أن يعتز أو يفتخر فقط باكتشافه عقدة أو ديب ، فان هذا وحده يعطيه الحق بأن يعتبر هذا الاكتشاف من أثمن ما حصل عليه الجنس البشرى » (فرويد) .

لاشك أن نظرية فرويد لم تكن فى يوم ما محل اتفاق بين علماء النفس ومن بينهم تلاميذته الذين حادوا عن مدرسة

(86) انظر : التحليل الكامل فى الباب الثانى .

انظر : قامه حسين ، مجلة آفاق عربية ، العدد 12 السنة 1979 ص 54

الام . وانصرفوا عنها ، حين أكد أستاذهم فرويد على الغريزة الجنسية فى تفسير سلوك الانسان فقط ، مهملا العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

ان نظرية فرويد ما هى فى الواقع العلمى الا فرض (87) ، والفرض كما هو معلوم مقدمة لبرهان ، أو هو فكرة مؤقتة يقيمها العالم لتفسير مؤقت ، ليعلل الحوادث والوقائع التى لاحظها . فان أيدته الملاحظة الدقيقة أو التجارب يتحول هذا الفرض الى قانون . أما اذا كذبت التجارب أو الملاحظات الدقيقة ، فالباحث هنا ، يستبدل غيره ، عسى أن يصل الى فرض صحيح لتفسير الوقائع تفسيراً علمياً .

ومن هنا نستنتج أن هناك اختلافاً جوهرياً بين النظرية (88) والحقيقة العلمية التى يمثلها القانون العلمى الذى يبين ويربط العلاقة الثابتة بين حادثين أو أكثر ، فهذا القانون يعتمد على مبدأ الحتمية الذى ينص اذا توفرت الشروط فلا بد أن تحدث النتيجة بالضرورة .

فهكذا نلاحظ ان القانون يكون غير قابل للتبديل والتغيير ولا مجال للشك فيه ، بينما النظرية لا تزال محل جدال ونقاش بين العلماء .

(87) الفرض : فكرة مؤقتة يقيمها الباحث بغية تفسير الوقائع التى يلاحظها خلال التجربة .

(88) النظرية : هى جملة تصورات مؤلفة تأليفاً عقلياً تهدف الى ربط النتائج بالمقدمات (مراد وهبة) .

ولعل من المفيد أن نذكر هنا العبارة التي اختتم بها فرويد بحثه قائلا : « ولعل البعض يسألنى عن مدى اقتناعى بصحة الفروض التي قدمتها هنا ، وجوابى على هذا أنى أنا شخصا غير مقتنع بها ... ولا أطلب من الغير الايمان بها ، وبعبارة أوضح ، انى لا أعرف الى أى مدى أؤمن بها » (89) فرويد .

2 - دحض عقدة الكترا :

ان هذا المصطلح النفسى - عقدة الكترا - قد أطلقه فرويد على نفسية البنت التي لم تتحرر من عقدها الجنسية الكامنة فى اللاشعور . فهى تريد الاتصال جنسيا بأبيها ، وتكمن فى قرارة نفسها عداة دفيننا ضد أمها التي استحوذت على أبيها وأورثتها عملية الاخصاء (90) . ولعل النص الذى نقدمه هنا يشرح مدى تهافت وجهة نظر فرويد فى طبيعة الانثى ، وقد قال فى محاضرة ألقاها حول سيكلوجية النساء ما يلى : اننا نعزو الى الانثى أيضا عقدة خصاء (91) ، وأن تكن بطبيعة الحال مختلفة عن عقدة الذكر . فعقدة الخصاء تظهر عند الصبى حين يلاحظ ، متى وقع نظره على أعضاء تناسلية أنثية ، ان عضو الذكورة ، العظيم القيمة فى نظره ، ليس جزءا لازما من كل جسم بشرى . عندئذ يتذكر ما وجه اليه من تهديدات يوم فوجىء متلبسا بجرم معايشة قضيبه ،

(89) انظر : الموسوعة الجنسية ، ص 149 .

(90) راجع الفكرة الكاملة فى الباب الثانى .

(91) عقدة نفسية لا شعورية مقترنة بالقلق والخوف وذلك ببتير الاعضاء

التناسلية .

وينتابه اشفاق من أن توضع هذه التهديدات موضع تنفيذ ، ويعرف من ثم خوف الخصاء الذى يغدو حينئذ أقوى محرك لتطوره اللاحق . وعند البنت أيضا تنشأ عقدة الخصاء لدى مرآها الاعضاء التناسلية للجنس الآخر . فتفطن للحال الى الفارق ، وتفهم أيضا - لا مقرر لنا من الاقرار بذلك - كل مدلوله وأهميته . وتكون حساسيتها بما أصابها من اجحاف كبير ، وقد تصرح برغبتها فى أن يكون لها هى أيضا (شئ كهذا) .

ويستبد بها الحسد القضيبى (92) ، ويترك هذا الحسد فى تطورها وتكوين خلقها أثارا لا تمحى ، وحتى فى الحالات الموائمة لا تستطيع البنت أن تتغلب على هذه إلا بعد بذل مجهود نفسى كبير . فحينما تكتشف البنت الصغيرة ما أصابها من اجحاف لا تستسلم له بسهولة ، بل على العكس ، فهى تظل لفترة طويلة من الزمن تأمل أن ينبت لها قضيب ، وقد يدوم هذا الامل أحيانا الى طور متأخر من الحياة . وحتى عندما تقطع معرفة الواقع كل رجاء لها فى تحقق رغبتها يوما ، يميظ التحليل المثلث عن أن هذه الرغبة تبقى متأججة فى لا شعورها ومحتفظة بشحنة كبيرة من الطاقة . ومن جملة الدوافع التى قد تحض المرأة الراشدة على طلب العلاج التحليلى ، ينبغى أن ندرج الرغبة فى امتلاك القضيب . وما ترجوه من خير من المعالجة ، وعلى سبيل المثال اقتدارها على

(92) اشارة الى أن المرأة تشعر أنها رجل ناقص لانها لا تملك ما يملك

- على حسب رأى فرويد .

ممارسة مهنة فكرية - وهو رجاء معقول - لا يعدو في الكثير من الاحيان أن يكون شكلا مصعدا (93) من هذه الرغبة المكبوتة « (94) .

- مناقشة النص :

ان هذا التحليل الذى قدمه فرويد فى هذا النص ، يعكس تماما الثقافة المسيحية والعبرية التى تشربها من مجتمعه . فالانسان يندهش عندما يدرك أن الحقيقة التى سماها الحسد القضيبى كانت متفشية فى المجتمع الاوروبى . فهذا يعود الى علة السلطة التى كان يمارسها الرجل على المرأة (95) ، ففرويد لم يستطع أن يعتقد نفسه وأفكاره من مجتمعه الذى ينظر الى المرأة على أنها كائن منحط وناقص الخلقة، وهنا يكمن مفتاح نظريته الجنسية .

وهكذا فان الرجل اليهودى يقول كل صباح حين يصلى : « أحمذك يا رب ... لانك لم تخلقنى امرأة ، بينما تصلى المرأة اليهودية كل صباح وتقول : أحمذك يا رب ... لانك خلقتنى وفق مشيئتك وارادتك » (96) .

(93) التصعيد : هو اشاع دافع ما بصورة غير مباشرة . ولكن بطريقة مقبولة اجتماعيا كالرسم والادب والمصارعة ... الخ .
(94) نقلا عن فرويد ، من مجلة دراسات عربية ص 136 - 137 ، العدد الثالث سنة 1982 .

(95) راجع هذه الفكرة فى الباب الثانى ، حياة فرويد .
(96) راجع كتاب الانثى هى الاصل لنوال السعداوى ، ص 27 .

فالنظرية الفرويدية تؤكد على حسب النص أن المرأة كائنة منحطة ، لانها لا تمتلك العضو الذكري . فنشاط المرأة وذكاؤها وقدراتها الذهنية تسعى دائما للحصول على صفة الذكورة ، لتكون متساوية مع جنس الرجل ، فتحل حينئذ عقدة الخصاء ، وتزول عنها الانفعالات المكبوتة ، والصراع الداخلى ، فهكذا يعترف فرويد صراحة أن النساء دون الرجال درجة من حيث تكوينهن البيولوجى والنفسى .

3 - وقفة مع مدرسة التحليل النفسى الجديدة ورأيها فى أستاذها :

ان نظرية فرويد الجنسية ، قد وجدت معارضة من قبل تلاميذته وعلماء النفس . لقد أنكر تلاميذته الدافع الجنسى كقاعدة عامة وكلية لتفسير سلوك الانسان ، ومن أشهر هؤلاء أدلر وسيونج .

رأى أدلر (97) :

ان أدلر قد عارض فرويد حين أكد على الجانب الجنسى ، واستدل بأن الامراض النفسية والعقلية هى نتيجة حتمية للحرمان الجنسى وكبته . غير أن تلميذه أدلر يرى أن الشعور بالنقص (98) هو العلة الاساسية لظهور الامراض النفسية ،

(97) راجع مذاهب علم النفس لعلى زيعور ، ص 255 - 257 .

الفريد أدلر : 1870 - 1938 .

(98) تعرف 1901 على فرويد ، المؤسس للسيكولوجيا الذاتية التى تدعو الى الصفة المميزة لكل شخص . تخرج من مدرسة فرويد وخالفه فى أهمية الغريزة الجنسية . أهم مؤلفاته : علم النفس الفردى ، والجملة العصابية ، وفهم الطبيعة البشرية .

واستبدل بعقدة أوديب عقدة النقص والتي يعنى بها ، ان الانسان يحاول بكل ما لديه من حيل ليعرض النقص الذى أصيب به كعيب فزيولوجى أو ضعف فكرى ، وأن يظهر تفوقه فى نشاط ما ، ليعوض هذا النقص .

وان جوهر العلاج النفسى يكمن فى تحليل ومساعدة المريض لمعرفة عقدة النقص ، ليوافه مشاكل الحياة وأن يتكيف مع الوسط الاجتماعى ليحقق لنفسه النجاح فى هذه الحياة .

رأى يونغ (99) :

إذا كان فرويد يركز على اللاشعور الشخصى والحرمان الجنسى فان يونغ يركز على اللاشعور الجمعى المؤلف من المكتسبات الانسانية المتوغلة فى القدم ، التى تنتقل بالوراثة من جيل الى جيل، على حين أن اللاشعور الشخصى مؤلف من خبرات ذاتية (100) .

فالانسان فى نظره أعقد وأغنى من أن يفسر بالفريزة الجنسية . هنا التجأ يونغ الى دراسة الانماط الاولى عند الفرد فهى الاستعدادات لادراك الطاقة الكامنة فى ظواهر الطبيعة والتعجب بها . والرغبة فى خلق القوة والتحكم فيها

(99) كارل غوستاف يوتغ (1874 - 1961) عالم نفسانى سويسرى تتلمذ لفرويد وتعاون معه . ابتداء من سنة 1907 . غير أنه انتقد بشدة نظريات أستاذه ، وصرف عنه أهم كتبه : سيكلوجية اللاشعور ، الانماط السيكلوجية .

(100) راجع ملامح الفكر الاوروبى المعاصر لصلاح عدس ، ص 79 .

ففى عصرنا هذا تصيبنا الدهشة حين ندرك بعض أسرار الطاقة الذرية ، ونفس الفكرة ذاتها قديما ، كانت تسيطر علينا حين نلاحظ انفجار البراكين .

اذن يمكن أن نلخص وجهة نظر المدرسة النفسية الجديدة التى قللت من العامل الجنسى فيها ، فهى تقرر أن الوظيفة الجنسية لا تعود الى الجانب البيولوجى بقدر ما تعود الى الجانب الذاتى والاجتماعى . ولعل هذه الفكرة تكون عندنا مقبولة لو أضفنا اليها عناصر اجتماعية واقتصادية وفكرية لتفسير سلوك الانسان .

4 - رأي الاستاذ قاسم حسين (101) :

قال : ان الفرويديين الجدد اختلفوا مع فرويد فى تفسير عقدة أوديب وغيروا فيها بشكل لا ينسجم مع منطق فرويد .

لقد وضع فرويد شرطا قاسيا حين قرر أن عقدة أوديب هى الحد الفاصل الذى يفرز اتباع التحليل النفسى . وأهمية هذا الشرط لا تكمن فى عملية الفرز ، بل فى كيان النظرية . فهناك أسئلة تهز عقدة أوديب بشكل يصعب فيها أن تصمد أمامها ، من قبيل :

إذا كان فرويد قد أضفى صفة الاطلاق الزمانى والمكانى على عقدة أوديب ، وهو يرى أن أوديب الملك تشكل سابقة تاريخية ، فهل كانت هناك عقدة أوديب فى المجتمع الاموى

(101) مفكر عراقي معاصر . انظر : قاسم حسين ، آفاق عربية ، العدد 12 السنة 1979 ، ص 52 .

(الأم) ؟ واذا كانت موجودة - وهى غير موجودة كما تدل الدراسات الانثرو بولوجية (102) ، فكيف كان شكلها ؟

ماذا يحصل فى حالة وجود أطفال أيتام ؟ وماذا يحصل لو حدث ان الزوجة الأم لا تنام مع زوجها بل تنام مع طفلها متى انتهاء السنة الخامسة من عمر الطفل ، أى فى اجتيازه المرحلة الاوديبيية ؟ ولو سلمنا بوجود منافسة بين الوالد والابن فهل يعود السبب الى الغيرة الجنسية أم للمعاملة التسليطية أم لعوامل أخرى ؟

واذا كان سبب الصراع يعود - من وجهة نظر فرويد - الى عقدة أوديب فان الدراسات التى أجريت لم تؤيد ذلك . وحتى الدراسة التى أيدت وجود عقدة أوديب - دراسة فريدمان-لم تؤيد كون عقدة أوديب هى جوهر الصراع فى الحياة العقلية . يستخلص من ذلك بأن عقدة أوديب - المبدأ الاساسى فى نظرية فرويد - لم تدعمها الدراسات بالمواصفات التى طرحها فرويد . وانها تعرضت اما لدحضها أو لإيجاد تفسيرات جديدة لها ، أو تأييد طفيف لبعض معطياتها . وهكذا يهتز المبدأ الاساسى فى نظرية التحليل النفسى . غير أنها - عقدة أوديب - تبقى كمتغير (103) فرضى فى هيكل نظرية فرويد .

(102) الانثروبولوجى : هو العلم الذى يدرس الاعراق البشرية وثقافتها القديمة .

(103) مفهوم رياضى ، يشير الى الخاصة من خلال الكم أو الرقم العدى وهو الرمز الذى تتغير قيمته أثناء العمليات الحسابية .

5 - رأينا الخاص :

ان غلو فرويد في أهمية الجنس ، قد تركت مدرسة التحليل النفسية الجديدة تنشق عنه . غير أن أدلر حاد عن جادة الصواب لما علل سلوك الانسان بعقدة النقص ، مدعيا أن هذه العقدة قادرة على تفسير شامل وكامل للنشاط الانساني . ولقد رأينا في التحليلات السابقة أن الفرد ، يتأثر بالعوامل البيئية والتنشئة الاجتماعية في تشكيل شخصية الفرد . أما بالنسبة ليونغ قد أخطأ الى حد ما ، لما أبرز اللاشعور الجمعي كقاعدة كلية في تفسير نشاط الشخص وتجاهل الخبرة الذاتية ، ومستقبل الانسان ومصيره ، لان البعد الزمني الموجه في الشخصية ليس الماضي فقط بل ان الانسان ذو أبعاد ثلاثة كما قيل عنه - أى يتأثر بالحاضر والمستقبل وماضيه . ومهما يكن فان نظرية فرويد كما قلنا في التحليلات السابقة ما هى الا فرض، وهذا الفرض يعدو أن يكون نوعا من التخمين والظن . وقد يصدق الفرض أو لا يصدق والتجربة العلمية هى التى تقطع بصحة الفرض أو فساده، الا أن الدراسات البيولوجية والنفسية والاجتماعية كلها قد دحضت (104) نظرية فرويد .

-
- (104) راجع الفكر المعاصر ، العدد 33 ، نوفمبر 1967 ص 28 - 35 .
• راجع آفاق عربية ، العدد 12 ، سنة 1979 ص 52 - 62 .
• راجع دراسات عربية العدد 3 - يناير 1982 ص 125 - 149 .
• راجع كتاب الانثى هى الاصل لنوال السعداوى .

ب - نظرة الاسلام فى طبيعة الأنثى ونقد فكرة فرويد :

لقد رأينا فيما سبق كيف شرح فرويد طبيعة الأنثى وابرزنا الاسباب النفسية والاجتماعية والحضارية التى دعت الى افتراض عقدة الكترا عند البنت . فهى تسعى دائما للحصول على صفة الذكورة ، غير أنها تدرك فى الاخير على أنها ذكر مخصى . فتعيش هنا فى كبت دائم طول حياتها . فتنتقم من الرجل الذى سلب منها حقها . وفى هذه الحال لا تجد ملجأ الا عملية التعويض عسى أن تحل هذه العقدة أو تخفف من أوارها عن طريق حب أبيها أو انجاب الاولاد الذين ترى فيهم صفة رجولتها الناقصة . فالمرأة فى نظره ما هى الا ذكر مخصى مشوه فهى أدنى من جنس الرجل . هذه الحقائق هى التى ظببت نظريته عن طبيعة ونفسية المرأة فكتب فرويد يقول : « ان النساء يرفضن قبول الحقيقة بأنهن مخصيات ، ويعشن بأمل الحصول على عضو الذكر فى يوم ما ، وبالرغم من كل شئ ... اننى لا أستطيع أن أتخلص من الفكرة (رغم ترددى فى التعبير عنها) بأن القيم الاخلاقية التى تحكم النساء تختلف عن تلك التى تحكم الرجال ، وعلينا ألا ننسى هذه الحقيقة لان التأثيرات من النساء يرفضنها ، هؤلاء النساء اللائى يرغبن فى دفعنا الى اعتبار المرأة مساوية للرجل فى المركز والقيمة .

ويقول فرويد فى هذا : « ونقول أيضا على النساء ان اهتماماتهن الاجتماعية أضعف من اهتمامات الرجال ، وأن قدرتهن على اعلاء رغباتهن أقل من الرجال ... ويبدو أن

طريق التطور الشاق الذى يقود الى الانوثة يستنفد كل
امكانيات المرأة » (105) .

من خلال هذا النص ، يتضح لنا مدى تهافت نظرية فرويد
فى وصف وتفسير طبيعة المرأة ، لقد أكدت الدراسات النفسية
والاجتماعية والبيولوجية ، ليس هناك أى دليل قاطع يؤكد أن
جنس المرأة أقل من جنس الرجل جسدا أو فكرا أو نفسيا .
مع العلم أن الهرمون الذكري والانثوى موجودان عند الذكر
وعند الانثى بنسبة ثابتة قبل البلوغ . ولكن فى فترة المراهقة
يأخذ الهرمون الذكري نسبة أعلى ، على الهرمون الانثوى
بالنسبة الى الذكر فتظهر عليه علامات الرجولة ، وتغيرات
فزيولوجية نتيجة الافرازات لهرمون الذكري والعكس صحيح
بالنسبة للبنات (106) .

أما الجانب النفسى وتعنى بذلك الذكاء الذى يقصد به
القدرة على حل المشاكل الجديدة التى لم يتعود الانسان على
حلها . فقد دلت تجارب علماء النفس أن الذكاء ، لا ينحصر
فى جنس دون جنس آخر . وان ظهر الاختلاف بين الرجل
والمرأة فهذا يعود الى الظروف الاجتماعية ، والاقتصادية ،
والسياسية التى فرضت على المرأة على حسب العوامل التى
ذكرناها الآن . وقد أكدت الدراسات النفسية (107) أن ذكاء
المرأة يتساوى مع ذكاء الرجل وأن قدرات المرأة الذهنية

(105) انظر : نوال السعداوى ، الانثى هى الاصل ، ص 89 - نقلا عن

فرويد .

(106) راجع الموسوعة الجنسية ، ص 23 .

(107) راجع أصول علم النفس ، ص 353 - 370 .

تعاادل قدرات الرجل . ونستنتج من كل هذا أن طبيعة الانثى لا تختلف عن طبيعة الرجل ولقد دعمت البحوث الجديدة هذه الحقيقة وأثبتت خطأ الفكرة القائلة ان جنس المرأة يختلف عن جنس الرجل .

1 - رأي الاسلام في المرأة :

غير أن الاسلام قد أشار الى هذه الحقيقة العلمية وأثبت في عدة آيات أن الذكر والانثى خلقا من نفس واحدة، ومن هذه الآيات الكريمة قوله عز وجل : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً** » (النساء : 1) وفي آية أخرى يقول : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** » (الحجرات : 13) ، وفي دليل آخر يقول : « **وَمَنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** » (الذاريات : 49) . وحسبنا هنا أن نستنتج أن الآيات الكريمة تؤكد وتقرر أن الذكر والانثى لا تفاضل بينهما ، بل ان المرأة والرجل يملكان بالتعاادل كل الظواهر النفسية ما دامتا يتحدان من نفس واحدة وهى الطبيعة البشرية التى تكمن فى الذكر والانثى . والله عز وجل يقول فى سورة القيامة : « **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ، أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ تُمْنًى ، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى** » (القيامة : 36 37 38 39) .

2 - المرأة عبر العصور :

ان الشريعة الاسلامية ، قد تناولت حقوق المرأة وواجباتها وقد صان كرامتها وعرضها ومالها . وطهر العقل من الافكار البالية ، التي كانت تسود فى الحياة الجاهلية .

فالمراة قديما قبل ظهور الاسلام ، كانت تدفن حية تخلصا من عارها ، فقد صور القرآن الكريم هذه المأساة التي تحمل الاسي وتشير فينا انسانيتنا ، قال عز شأنه : « وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ، يَتَوَارَىٰ مِنْ أَقْقَامِهِمْ سَوْءٌ مَا يُبَشِّرُ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلْأَسَاءُ مَا يَحْكُمُونَ » (النحل : 58 - 59) .

ولكن نفس الفكرة كانت تسود فى أوروبا قبل عصر النهضة . وكانت المراة لدى اليونان وروما سلعة تباع وتشترى فى الاسواق . ونظروا الى المراة على أنها حيوان مفترس ، وأقل درجة من الحيوانات الداجنة ، لأن صاحبها يهتم بها لأسباب جنسية واقتصادية ، وليس من العجيب أن يعقد مؤتمر فى فرنسا قبل عصر النهضة لبحث هل المراة انسان ؟ أو غير انسان ! وأعتقد أن هذه المفاهيم امتداد طبيعى للفكر اليونانى . ويذهب أرسطو الى أن المراة أقل عقلا (108) ، وليس بصحيح أن الطبيعة هياتها للمشاركة فى الحياة العامة . وأما العبد فى نظر أرسطو فألة ضرورية للحياة ، وأن استعباده لا يتناقض مع كرامة المواطن اليونانى الحر !!! فكان للاسلام فضل عظيم حينما حرر العقل البشرى من هذه

(108) راجع : أرسطو - لمصطفى غالب ، ص 143 - 151 .

الافكار الخاطئة ، والاساطير الغريبة . الا أن فرويد أراد مرة أخرى أن يعيد الصورة القديمة للمرأة وترسيخها في الثقافة المعاصرة بحجة الاكتشافات الجديدة المدعمة بالادلة العلمية ، فسوف فلاحظ نفس الصورة القديمة أعادها . ولكن من الصعوبة جدا أن يتحرر شباب اليوم من الافكار الفرويدية ، بحجة أنه من عباقرة العالم الذين ساهموا في الحضارة المعاصرة باكتشافه التحليل النفسى الذى أصبح جزءا من حياتنا الثقافية . لقد صورت هذه الحقيقة العالمة بتى فريدان فكتبت ما يلى : « ان الصعوبات التى تواجهها المرأة الحديثة فى دحض الميثولوجيا الجديدة أشد وأعنى بكثير من تلك التى واجهتها أمها فى مصارعة الافكار المسبقة التقليدية ، لان هذه الميثولوجيا (109) تبث وتنشر أولا بواسطة مربين وعلماء اجتماع يفترض فيهم أن يكونوا من ألد أعداء الافكار المسبقة ، ولان طبيعة الفكر الفرويدى بالذات تحول ثانيا ، بصورة ضمنية ، ولكن قاطعة دون أى اعادة نظر . فهل يمكن أن نتوقع من أمريكية متوسطة ، لا تملك ثقافة علم النفس ومعلوماته ، أن تتنرد على عقيدة فرويدية وأن ترفضها ؟ فهى تعلم أن الاكتشاف الفرويدى للاشعور كان بالنسبة الى الفكر البشرى المتعطش للمعرفة كشفا عظيما للغاية » (110) .

أما الدكتورة نوال السعداوى فقد وصلت الى نفس الفكرة تقريبا . وكتبت ما يلى : « وقد فعل فرويد بالمرأة ما فعله هذا

(109) علم الاساطير ، ما يجاوز المنطق .

(110) انظر : دراسات عربية ، العدد الثالث ، السنة 1982 ص 125 .

الباحث بالعبيد . لقد لاحظ فرويد أن النساء (في مجتمعه المحيط به) لا يظهرن الذكاء أو القدرات الذهنية التي يظهرها الرجال عامة ، وانهن أقل من الرجال اهتماما بالشؤون العامة في الحياة ، وانهن أقل طموحا من الرجال ، وأقل تعقلا ، وأقل موضوعية وحكمة ... الخ « (III) .

وحسبنا أن نستنبط أن علم النفس الفرويدي قد ترك نتائج متناقضة ، وجملة الاسئلة التي يصعب أن نجد لها الاجابة الصحيحة في مدرسته .

3 - مدلول التفاضل الاسلامي :

ومما يجب أن نشير اليه هنا في هذا الموضوع ، أن الاسلام يعترف بالتفاضل بين الناس عن طريق الكسب . ولكن هذا التفاضل غير مرتبط في جنس واحد ، بل في الجنسين معا بدون تمييز . وهذا التفاضل يكون بما اكتسبه الانسان من خلال الاعمال التي قام بها سواء أكان الذكر أم الانثى ، وحسبنا هنا أن نستدل ببعض آيات قرآنية كقول الله عز وجل : « وَأَنَّ لِّلنَّاسِ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى » (النجم : 39 - 40 - 41) وفي آية أخرى يقول الله : « فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى » (آل عمران : 195) .

وتعاليم الاسلام لم تقف في حد المساواة بين الرجل والمرأة على أنها أمر طبيعي ، بل تنظر الى المساواة على أنها جزء من

(111) أنظر : الانثى هي الاصل ، ص 142 .

الاخلاق التى ينبغى أن تعمم وتوجه سلوك البشر - وهذه الاخلاق يلزم أن تظهر فى المعاملات اليومية ، وتصرفاتنا التى يشترط أن تكون قائمة على العدل والانصاف، والله عز وجل يقول : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا » (النساء : 135). هذه هى فلسفة الاسلام القائمة على العدل والمساواة التامة بين الذات وذاتها ، وبين الرجل والمرأة والقريب والبعيد والغنى والفقر ؛ لا تفاضل الا بالعمل الصالح والمجاد ، وهنا يكمن مدلول التفاضل فى الاسلام .

ج - رأي الاسلام فى دوافعنا الفطرية :

ان الطبيعة الانسانية تحتوى على عدة دوافع منها الفطرية والمكتسبة . والدافع له صفة جوهرية أساسية ، هى الحالة الفزيولوجية التى تدفع الكائن الحى الى النشاط الفعال ، ولا يهدأ هذا الكائن حتى يحققه غاية معينة ؛ فالانسان الجائع لا يسكن حتى يشبع دافع الجوع ويعود الى حالته الطبيعية واتزانه ، وهذه الدوافع تنقسم الى قسمين : دوافع فطرية ومكتسبة .

أ - الدوافع الفطرية هى استعدادات طبيعية ، يولد الانسان مزودا بها فلا يحتاج الى اكتسابها . وهذه الدوافع الفطرية هى : دافع الامومة - والعطش - والجوع - والنوم - والمقاتلة - وحب الاستطلاع - والجنس .

ب - الدوافع المكتسبة : هى نتيجة المؤثرات الاجتماعية التى اكسبت الفرد أنماطا معينة من السلوك الذى ينعدم عند الحيوانات الاخرى ؛ كدافع التملك ، والسيطرة ، والمحاكاة والاستغاثة (II2) ... الخ .

ومن التحليل السابق نلاحظ ان بعض الدوافع تتميز بالخاصية الفزيولوجية كالجوع والعطش والنوم ، أو قد تكون لها الخاصية النفسية كالعالم الذى يسعى بكل قواه للوصول الى اكتشاف جديد بدافع حب الاستطلاع أو التفوق والشهرة . والدوافع مهما كانت لا يهدأ نشاطها حتى تصل وتحقق غايتها .

ومن أقوى الدوافع لدى الانسان دافع الجنس الذى يكمن فى الرجل والمرأة على حد سواء . غير أن هذا الدافع الجنسى لا يظهر فى الأيام الأولى كالجوع ، والعطش ، والنوم ، بل تظهر ملامحه الأولى فى بداية سن المراهقة بالنسبة الى الجنسين ومن هنا نطرح السؤال التالى :

كيف نظر الاسلام الى دوافعنا الفطرية ؟ هل كبثها ؟ أم أطلق عنانها ؟ أم وجهها ؟ ان الاجابة عن هذه الاسئلة تكمن فى الآيات القرآنية التى سوف نستدل بها ، لقد تعرضت لدوافعنا التى شرحناها فى هذا الموضوع ، واعترفت صراحة بالدوافع الفطرية ، بل تراها جزءاً لا يتجزأ من طبيعتها الدائمة . ومن هذه الآيات الكريمة ما يلى :

(112) راجع علم النفس لعبد العزيز القوصى ، ص 128 .
انظر : أصول علم النفس ل احمد عزت راجح ، ص 60 - 90

1 - « كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ » (الانعام : 142) .

2 - « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » (الاعراف 32)

3 - « كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » (البقرة : 60) .

4 « وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا » (الفرقان : 47) .

5 - « وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ » (الروم : 23) .

5 « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الروم : 21) .

إذا أمعنا النظر ، ودققنا البحث في هذه الآيات الكريمة ، يتأكد لنا مرة أخرى ، ان القرآن الكريم قد أشار بكل وضوح وبدون لبس الى كل دوافعنا الفطرية منها دافع الجوع، والعطش، والنوم ، والجنس ، ولكن هذه الدوافع التي ذكرها القرآن قد ارتبطت دوماً بالجانب الارادى المتمثل في تهذيب طبيعتها الفطرية . ولم يترك هذه الدوافع بلا ضابط ولا معيار (113)، فلا بد اذن من ارادة عقلية لضبط هذه الميول وتحدد هدفها ،

(113) راجع : هذه الفكرة في كتابنا دراسات اسلامية في الاصول الاباضية ، ص 69 .

لان طبيعة البشر تتحكمها الالهواء وتسيرها نحو الانحراف الخلقى . وقد أشار القرآن الى هذه الحقيقة النفسية فقال عز وجل : « فَأَمَّا مَنْ طَغَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى » (النازعات : 37 - 40) . ان نهى النفس عن الالهواء لا يكون الا بالارادة العقلية التى تميز بين الفضائل والرذائل والتحكم فى شهواتنا الحيوانية . ومهما يكن من أمر فنستنتج أن ارادتنا لا يمكن أن تكون بدون الدوافع والرغبات التى ذكرناها سابقا ، لانها مادتها ، ولولا هذه الميول التى وجدت فيها لكان الانسان أشبه بالجماد الذى لا يحس اطلاقا - هذه الملاحظة يجب أن ننتبه اليها - .

من أجل هذا لنا الحق أن نقول : ان الاسلام قد وجه غرائزنا ، ولم يكتبها ولم يطلق عنانها كما هو الشأن عند الحيوانات الضارية . لان العلة تكمن أن لا يكون الانسان عبدا لشهواته ، والا ضرسته غرائزه فلا يهدأ أبدا فلا يعرف الاستقرار النفسى ، والتكيف مع المجتمع البشرى .

د - رأي الاسلام فى آداب العلاقات الجنسية والرد على فرويد :

لقد رأينا أن الطبيعة الانسانية مركبة من الالهواء والارادة فالانسان حين يندفع الى السلوك الحسن يكون بحكم الارادة العقلية ، أما حين يندفع الى السلوك الغرائزى فيكون بحكم الميول والدوافع الفطرية . وفى ذلك يقول تعالى : « وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا » (الشمس : 6 - 10) .

من خلال هذه المقدمة يتبين لنا أن الطبيعة الحيوانية موجودة عند الذكر والانثى ، فالفضيلة الاخلاقية لا تحصل لنا الا بعد أن نطهر نفوسنا من نزواتها الرديئة . ولقد جاء في القرآن الكريم : « قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ » (النور : 30 - 31) .

ان هذا النص القرآنى قد خاطب الفطرة البشرية ، ودعا الى تهذيب النفس والارتفاع بها من حماة الشهوات النفسية ، وطلب من الجنسين - الذكر والانثى - ان يغضا من أبصارهما وأن يحفظا فروجهما وذلك بالتستر والتحفظ ، وبتقديم غض البصر بالدرجة الاولى لان النظر فى كثير من الاحيان يكون مدخلا لإثارة غرائزنا الجنسية، ولا سيما اذا كانت المؤثرات المحيطة تزيد فى درجتها . غير أن الآيتين أكدتا أن غض البصر وحفظ الفرج مطلوبان للجنسين معا . ولم يفرق بينهما لأن درجة اثاره الحالة النفسية واحدة عند الجنس البشرى سواء كان عند الرجل أو المرأة . ومن هنا نستنتج ان الغريزة الجنسية لا تختلف فى الدرجة بين الذكر والانثى - ولو كانت نسبية بينهما ان صح هذا التعبير ، لجاز لنا أن نستنتج أن عقاب المرأة فى الزنا يكون أقل وأخف من الرجل - غير أن هذا الافتراض لم يزد اطلاقا فى الدراسات الفقهية ، والله عز وجل يقول : « الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ » (النور : 2) .

1 - الاسلام لا يفرق فى اللذة الجنسية عند الجنسين :

ومن هنا نحن نخرج من هذا التحليل للرد على النظرية الفرويدية التى تفرق فى الدرجة واللذة الجنسية عند الجنسين والرجل فى نظره يتميز على الدرجة الجنسية العليا ، وأن من حقوق الرجل المشروعة استعباد المرأة ، وقال فى كتابه التحريم والعذرية - ان أهمية أن تكون البنت عذراء حتى تتزوج ليس الا نتيجة طبيعية لحق الرجل المطلق فى امتلاك المرأة (II4) . والمرأة فى نظره دائما مصابة بالرود الجنسى . فهذا يعود الى حالتها النفسية التى تشعر بالكبت الجنسى اللاشعورى الذى يميزها عن الرجل . الا أن الدراسات النفسية والبيولوجية قد أظهرت الخطأ الجسيم الذى وقع فيه فرويد . ولعل النص الذى كتبه الدكتور نوال السعداوى فى كتابها - الانثى هى الاصل - يثبت ويقرر صحة رأي الاسلام، فقالت ما يلى : « اما ان المرأة لا تشعر بلذة جنسية وانما تخضع لرغبة الرجل فهذا أيضا لا يتفق مع الحقائق البيولوجية من قدرة المرأة الجنسية (II5) ، تلك القدرة التى اتضح من الدراسات البيولوجية الحديثة أنها عنيفة ودائرية ومستمرة، وأن الرجل لم يستطع أن ينشئ أسرته الابوية وحضارته الذكورية الا عن طريق قمع هذه القدرة الجنسية الحساسة . أو ذلك الكبت الجنسى المفروض على المرأة فى مختلف عصور

(114) راجع : الانثى هى الاصل ، ص 101 ، ولاسيما الفصل السابع

حياة المرأة الجنسية - ص 103 - 124 .

(115) اشارة الى فكرة فرويد الذى يدعى أن المرأة لا تحس بالحاجة

الجنسية وانها أقل من الذكر .

التاريخ حتى اليوم بالقوانين الذكورية والمحرمات والمحظورات الواقعة على المرأة وحدها (II6) .

2 - آداب العلاقات الجنسية فى الاسلام :

ان الظاهرة البارزة التى تلفت نظرنا فى حياتنا العادية والثقافية حين نلاحظ ان الحيوانات تقوم بالمداعبات الجنسية قبل أى اتصال ، ويدخل فى هذا الحكم حتى الانسان . هذه الحقيقة الفطرية يفرض ذكرها وادراكها وابرازها من الزاوية الاسلامية كسلوك يعتمد على الوراثة البيولوجية التى لا يمكن لأي انسان أن يتنصل منها .

غير ان بعض الناس يعتقدون أن هذه القضية البيولوجية والنفسية ليس لها أى اتصال وعلاقة بالتربية الاسلامية .

الا أن المدرسة النفسية الاسلامية قد أشارت الى آداب العلاقات الجنسية وشروطها فى عدة نصوص التى سوف نشرحها لنتأكد مرة أخرى أن الدين الاسلامى قد عالج جميع القضايا النفسية والمادية .

(116) ان الدكتورة نوال قد اهتمت بدراسة نظرية فرويد الجنسية ، ونقدتها نقدا موضوعيا . لا سيما حين بينت العلاقة العلية بين فرويد وثقافته المسيحية . غير انها أرادت هنا أن تعمم هذا الحكم على عصور التاريخ . وجدير بها أن تشير الى أن الدين الاسلامى ، يختلف عن الثقافة المسيحية ، لان المرأة المسلمة قد ساهمت فى بناء الحضارة الاسلامية الاولى فحينذا لو ذكرت بعض النساء اللاتى قمن بدور بارز ولاسيما زوجات النبى (ص)، كالسيدة خديجة بنت خويلد والسيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق ، وقد شهد لها النبى بذكائها وعلمها فقال الرسول (ص) : خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء .

وجدير بالذكر ان الدين الاسلامي أمرنا الى عاطفة الحب
ودعانا اليها، وحسبنا هنا أن نذكر بعض الآيات والاحاديث
لتكون دليلا عما قلناه. يقول الله تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» (آل عمران : 31)
وفي آية أخرى يقول : «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
أُنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ»
(البقرة : 165) .

وقد جعل الله عاطفة الحب بين الزوجين آية من آياته
فذكرها في هذه الآية : «وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (الروم : 21) .

فالزواج هنا متوقف على المحبة التي تعد شرطاً في
استكمال الزواج المثالي الذي عبر عنه بفعل سكن - أى أن
النفس هدأت بعد الاضطراب . والسكن كل ما سكنت اليه
واستأنست به ، فالزوج يسكن الى الزوجة والزوجة تسكن الى
الزوج ، لان كل واحد منهما يطلب الآخر .

اذن أن عاطفة الحب والمودة ظاهرة اجتماعية من ظواهر
المجتمع الاسلامي . قال عليه الصلاة والسلام : « لن يؤمن
أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . فالمحبة شرط من
شروط أخلاقيات وآداب العلاقات الجنسية .

روي عن رسول الله (ص) قوله : (اذا جامع أحدكم أهله
فلا يتجردان تجرد العيرين) (II7) وليقدم التلطف بالكلام

(117) العير : الحمار الوحشي ، ج أعيار وعيار .

(والتقبيل) ، وفى رواية أخرى (فلا يقع على امرأته كما تقع البهيمة، وليكن بينهما رسول) ، قيل فما هو ؟ قال : (القبلة والكلام) . وفى حديث شريف ، رواه أبو يعلى عن أنس ابن مالك أن رسول الله (ص) قال : (اذا جامع أحدكم أهله فليصدقها فاذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها (188) .

إن هذه الأدلة : النقلية التى بسطناها هنا تدحض مرة أخرى فكرة فرويد القائلة : أن حياة الانسان الجنسية ، والشعور باللذة تكون تحت تأثير الذكورة فقط ، أما الانوثة فلا نصيب لها فيها .

هـ - لا كبت فى الاسلام :

لقد رأينا فى الفصول السابقة أن الطبيعة الانسانية لها الجانب العقلانى والشهوانى ، ولها القدرة الفائقة فى التحكم فى دوافعنا الفطرية والمكتسبة . غير أن هذه القدرة الارادية لا يمكن اكتسابها الا بعد اشباع الانا السفلى ضمن منهج اسلامى صارم ، له معلمه الواضحة وأسلوبه العقلانى الذى يهذب النفوس ويسمو بها ضمن الحياة الزوجية المثالية الهادئة القائمة على الحب المتبادل والتشريع الاسلامى . ومن هذا المنطلق القويم يقر الاسلام صراحة وبدون لبس وغموض بالدافع الجنسى حتى لا يندفع الانسان تحت تأثير غرائزه

(118) انظر : كتاب قواعد الاسلام للجيطالى ، تعليق بكلى عبد الرحمن ابن عمر ، الفصل الرابع - فى آداب الجماع ج 2 ص 270 - 274 .

الحيوانية التي تضرسه، ويكون كالعبد المهين والاجير المستعمل ولا تهدأ حالته النفسية حتى يشبع دوافعه بكل وسيلة شريفة أو غير شريفة . غير أن هذه المشكلات تحل ضمن حظيرة انسانية لها أبعادها البيولوجية والنفسية والاجتماعية المتمثلة فى الزواج الشرعى .

1 - دعوة الاسلام الى الزواج :

وقد دعا الاسلام الى الزواج بعدة أساليب متعددة ، لانه الوسيلة الوحيدة والكفيلة لاشباع غريزة الجنس ، ثم استمرار النوع البشرى . وعلى هذه الفكرة القويمة رغب فى النكاح ، لتأسيس ورص اللبنة الأولى فى بناء المجتمع الاسلامى التى هى الأسرة . وعمل على اسعادها وتقويتها، فلا تبرز الاسرة وتنقى دوافعنا وأهواؤنا الا عن طريق الزواج .

وحسبنا هنا ، أن نذكر عدة آيات قرآنية وأحاديث دعت الى تنظيم فطرة البشر مهما علا شأن هؤلاء كالرسل ... ولقد أشار الله عز وجل الى هذه الحقيقة فى قوله : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ » ، (الرعد : 38) .

وفى حديث الترمذى عن أبى أيوب رضى الله عنه أن رسول الله (ص) قال : (أربع من سنن المرسلين: الخناء، والتعطر، والسواك والنكاح) . وفى بعض الاحيان يذكره على أنه

آية من آياته التى تستوجب التفكير والتأمل، ويعطى الحجة والبرهان على أنه دليل على حكمته . وهو القائل عز شأنه :
**« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ،
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »**
(الروم : 21) .

وقد يحجم بعض الناس ويبعد عن الزواج خوفا من تحمل المسؤولية والانفاق على ذريته . فهذه الظاهرة قد أصبحت واضحة ، واشتدت وطأتها فى الدول الغربية ، فقل شبابها فان هذه الآفة قد أهرمت الدول الصناعية الغربية ، الذى يعد دم الامة ورييعها ، بالنسبة الى حياتها .

وأمام هذه المشكلة الخطيرة أصبحت اليوم هذه الدول تشجع النسل بوسائل مختلفة ، لتعالج هذا المرض الذى يهدد كيانه ومصيرها . والجدير بالذكر أن نبين هنا أن الاسلام جعل الزواج طريقا للغنى، وقد جاء فى القرآن :
**« وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى (119) مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ
إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ »**
(النور : 32) . وروى عن أبى هريرة أن رسول الله (ص) قال : « ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد فى سبيل الله ، والمكاتب الذى يريد الاداء ، والناكح الذى يريد العفاف » .
روى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال : جاء

(119) الايامى : جمع أيم ، وهو الذى لا زوجة له أو التى لا زوج لها .

ثلاثة رهط (I20) الى بيوت أزواج النبی (ص) يسألون عن عبادة النبی (ص) فلما أخبروا - كأنهم تقالوها (I21) - فقالوا : وأین نحن من النبی (ص) ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

قال أحدهم : أما أنا فانی أصلى الليل أبدا وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ؛ وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله (ص) فقال : « أنتم الذين قلتם كذا وكذا ؟ .. أما والله انی لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنی أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد . وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » (I22) .

وعن أنس رضی الله عنه ، عن النبی صلی الله علیه وسلم قال : « حبيب الى من دنیاكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني فی الصلاة » .

والاسلام بهذه النصوص الصريحة يدعو الى عقدة الزواج والترغب فی أحكامها ، فيقرر أن الزواج يعد عبادة يستكمل الفرد به نصف دينه .

فعن أنس رضی الله عنه أن رسول الله قال : « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله فی الشطر الباقي » .

(120) الرهط : هو الجماعة من الثلاثة الى العشرة من الرجال .

(121) تقالوها : جعلوها قليلة .

(122) انظر : فقه السنة الجزء الثاني ، ص 7 للسيد سابق

2 - الاسلام والرهبانية :

ان الاسلام قد علل الحقيقة الطبيعية التى فطر عليها الانسان ، فهى الرغبة الجنسية ووظيفتها التى ينشط الفرد فيها كل قواه النفسية والجسدية - فلا ينبغى أن يفهم من هذا أن الاسلام يطلق لنفسية الشخص العنان لحاجته الجنسية ، بل هذبها وثقفها فى اطار التشريع الالهى للتسامى بها . وفى هذه الحالة سوف يثاب على الجماع الذى يعد جزءا من العبادة . ولقد سئل الرسول مرة عن هذه الوضعية التى تبدو لمعظم الناس أنها عملية حيوانية تحط من طهارة الانسان وكرامته فلا ثواب فيها . غير أن الرسول الكريم بدل هذا المفهوم الخاطيء ، فأجاب أن المسلم يثاب بجماعه الجنسى مع زوجته . لقد سأل المسلمون فى يوم ما رسول الله (ص) يا رسول الله أيتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال رسول الله (ص) : « أريتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك اذا وضعها فى الحلال كان له أجر » .

ومن هنا نستطيع أن نقول : ان الكبت الجنسى ومظاهره لا وجود له اطلاقا فى المدرسة النفسية الاسلامية التى عالجت بكل موضوعية هذه المشكلة وأعطت لها أبعادها البيولوجية والنفسية والاجتماعية والدينية .

3 - لا رهبانية فى الاسلام :

ان الاسلام قد حارب كل مظاهر التبتل (123) والرهبة (124)، وقد دعا الى الزواج كما رأينا فى عدة آيات قرآنية وأحاديث

(123) التبتل : هو الانقطاع عن الزواج وما يتبعه من الميلاد الى العبادة

(124) الرهبة : التخلي عن أشغال الدنيا والزهد فيها .

كتبوا الحاجات الفطرية فى الانسان ، فخالفت التشريع
 الالهى ، الذى أشار اليهم فى عدة آيات قرآنية كريمة لقوله :
 « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
 أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » (التوبة : 34) .
 وفى آية أخرى يذكر الله أن هؤلاء قد أثروا فى عقول الناس
 وانصرفوا عن ذكر الله فلذلك نراه يقول : « اتَّخَذُوا
 أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ
 وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا
 يُشْرِكُونَ » (التوبة : 31) .

ولعل من المفيد أن نذكر هنا ، النص الذى كتبه الاستاذ
 محمد قطب الذى بلور الفكرة فقال : « وقد كانت المشكلة
 عندهم فى العالم المسيحى ، مشكلة نفسية وعصبية أكثر منها
 جسدية وعضلية . كان الامر الذى يطلبون علاجه هو الكبت
 النفسى الذى يعانى منه يتربى فى ظل التعاليم المسيحية ،
 كما أوحى بها رجال الدين وكتب المواعظ . ولكن الطريقة
 التى عاجوا بها الكبت ، قد فشلت فى ايجاد السلامة النفسية
 والعصبية ، ولم تزد على أن تستبدل به الجوع الدائم واللهفة
 التى لا تشبع ، فضلا على حالات القلق المتزايد ، التى
 تفد (125) كل يوم بنسبة مزعجة ، على العيادات النفسية فى
 أمريكا خاصة ، وهى التى طبقت هذا الحل المثلث الى آخر
 مداده .

(125) تفد : تشتد .

وهنا يتميز الاسلام بأنه لا يكبت المشاعر الجنسية ، ولا يستقذرها في ذاتها ، ولا يعتبر من تلم به خارجا عن ملكوت الله ، بل يعترف بها على أنها أمر واقع ، ثم يرفعها في حس المسلم الى درجة النظافة الكاملة التي تقتن بالعبادة وباسم الله الكريم « (I26) .

هكذا نجد أن الوقائع التاريخية وقرائن العلماء ، تؤكد ان الافكار التي تزعمها وأقرها فرويد حول طبيعة الوظيفة الجنسية عند الانسان ، ودافع عنها باسم مناهج التحليل النفسى الذى يركز على المفهوم الديناميكي للشخصية ، على حسب رأيه ، ما هى فى الواقع الا انعكاس طبيعى للبيئة الاجتماعية التى نشأ فيها . ولقد توصل نقاد الفكر الفرويدي على أنه نقل بكل أمانة وموضوعية الحياة الثقافية التى كان يحياها فخرت فى نظرياته . فهذه الثقافة كانت تقمع الميول الفطرية عند الانسان ، والبحث العلمى ، والثورة على الاوضاع الاجتماعية - بل فرضت خرافات وأساطير فى مجتمعاتها وخدرتها . ولعل مقولة كارل ماركس تصدق هنا على تعاليم الكنيسة حين قال : - الدين أفيون الشعب (I27) .

(I26) انظر : محمد قطب - الانسان بين المادية والاسلام ، ص 208 -

• 209

(I27) راجع : شبهات حول الاسلام لمحمد قطب ، ص 199 - 209 .
السيد محمد قطب : رائد من رواد الفكر الاسلامى المعاصر ، من أصل مصرى ، يرى أن حل مشاكل الانسانية تكمن فى الاسلام ، انتاجه يتمثل بالاصالة والتوليد أهم آثاره : معركة التقاليد ، هل نحن مسلمون ، شبهات حول الاسلام .

أما بالنسبة الى عقدة أديب التي تعد المحور الاساسى ،
لنظرياته وتحليلاته فقد بينا فى الفصول السابقة خطأ هذه
الفرضية ، ثم دحضت من كل المدارس النفسية الجديدة عند
أدلر ، ويونغ والمدرسة الاجتماعية والمادية على السواء .

ومهما يكن ، فان تطبيق منهجه كليا وتعميمه فى وصف
وتفسير سلوك الشخصية يعد فى نظرى خروجاً عن الروح
العلمية ، وخصائصها الاساسية الالتزام بالروح النسبية (I28)
وان الحافز الذى دفعه الى هذا التعميم الكلى ، حين لاحظ بعض
الحالات المرضية الشاذة الغريبة على مرضاه فأراد تطبيقها على
كل الاشخاص ، ولكن هذا يتناقض مع مبادئ المنطق السليم
فقاعدتها تقول : اذا صدق البعض قد يصدق الكل ، ولكن
ليس بالضرورة ، كقولنا بعض المعادن ثمينة كالذهب
فلا يصح لنا أن نستنتج كل المعادن ثمينة لأن هناك بعض
المعادن غير ثمينة كالحديد ، ولكن قد يصدق الجزء والكل معا
كقولنا بعض المعادن تتمدد بالحرارة ، نستنتج كل المعادن
تتمدد بالحرارة .

الخاتمة :

انطلاقاً من هذه الدراسة التحليلية ، نستخلص أن المدرسة
النفسية الاسلامية ، لا تشاطر المدارس الاخرى، فهذا يعود
الى نظرتها الفاحصة والشاملة فى فهم وتفسير سلوك الانسان،

(128) النسبية : هى اقرار أن النتائج التى يصل اليها العالم ليست
حقائقها مطلقة صحيحة مائة بالمائة بل قابلة للتعديل .

أما علم النفس الفرويدى فقد فندته ، وبينت خطأ نظريته حين جعل الحاجة الجنسية أصل كل سلوك . وسيطلع القارئ ذو العقل النقدى ، من الآن فصاعدا على أن الشخصية تكونها عدة مؤثرات اقتصادية ، ونفسية ، واجتماعية ، وبيولوجية ، وجنسية ، ولا يمكن الفصل بينها بأى حال من الاحوال .

على أنه يجب أن نذكر هنا ، مرة أخرى أن اعتناق الفكر الفرويدى أسمى بدون نقد عند أغلبية الشباب ، هؤلاء قد استهوتهم النظريات والمذاهب التى برزت وشاعت فى العالم فقلدوها بدون أن يدركوا ماهيتها (129) الاصيله وأهدافها البعيدة التى تنجر عنها نتائج وخيمة فى سلوكهم وسلوك الامة الاسلاميه .

هذه الملاحظات هى التى حملتنى الى كتابة هذا الكتاب لسد الفراغ الموجود فى المكتبة الاسلامية . ثم ان الروح العلمية قد ألزمتنى الى ابراز رأي الاسلام صراحة فى نظرية فرويد الجنسية التى غابت عن الكثيرين ، أو تغاضوا عنها عن قصد أو غير قصد .

(129) الماهية هى الصورة الجوهرية التى تميز الشئ عن الشئ الآخر بالجوهر لا بالعرض .

(130) اشارة الى الدراسات التى كتبت فى الفكر الاباضى قديما وحديثا ، تميزت اكثرها بالتناقض بين المصادر الاباضية وغيرها . فهذا يعود الى الباحثين الذين لا يعتمدون على المصادر الاباضية فهذه الصفة تتنافى مع الروح العلمية وخصائصها .

وانى أسجل هذه الملاحظة (I30) كما سجلتها فى كتابى
الاول - دراسات اسلامية فى الاصول الاباضية - فالباحث
الملتزم يكون هدفه الاول ، السعي وراء الحقيقة، والتجرد من
الذاتية، والالتزام بروح النقد ، واتخاذ الشك المنهجى طريقا
لفحص كل المعارف التى يمكنها أن توجه النتيجة فى اتجاه
معين ، فيطلب ذلك طاقة أخلاقية مثالية ، والتجرد من أهواء
الذات ، هذه الصفات تعد قوام الروح العلمية . والواقع أن
هناك أقلاما اسلامية قد ساهمت فى كتابة موضوعات مختلفة
سواء فى الاخلاق ، أو العقائد ، أو العلوم الاجتماعية ، لكن
القليلة منها ، قد عالجت موضوع علم النفس الجنسى ، اللهم
الا بعض مقالات تنشر هنا وهناك . ولعل هذه الظاهرة تعود
الى طبيعة وقيم مجتمعنا الذى لا يزال ينظر الى هذه القضية
بتحفظ مع ما فيها من سلبيات . ولكن رغم هذا جازفت بهذه
الدراسة ، واننى أؤكد أن كتابى هذا لا يزال الى تحليل
أوسع ، لان الكمال والعصمة لله وحده ، وأسأل خالقنا أن
يهب لى دقة الادراك ، والتفقه لخدمة الفكر الاسلامى وفلسفته،
انه نعم المولى ونعم النصير .

غارداية - الجزائر : سبتمبر 1982 .

الاستاذ أعوش بكير بن سعيد

- مراجع البحث والتحقيق
- القرآن الكريم .
 - المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي
 - طبع بمطابع الشعب - القاهرة سنة 1978 هـ .
 - أرسطو ل د - مصطفى غالب - منشورات دان مكتبة الهلال - بيروت سنة 1982 .
 - أصول علم النفس لاحمد عزت راجح - الطبعة السابعة - الناشر دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة .
 - الانسان بين المادية والاسلام لمحمد قطب - دار الشروق بيروت .
 - الانثى عى الاصل لنوال السعداوى - الطبعة الثانية سنة 1977 - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت .
 - برجسون بقلم زكريا ابراهيم - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر .
 - دراسات اسلامية فى الاصول الاباضية لبكير بن سعيد اعوشث - الطبعة الاولى 1982 - دار البعث بقسنطينة .
 - شبهات حول الاسلام لمحمد قطب - الطبعة السادسة - دار الشروق بيروت .
 - علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية لمبد العزيز القوصى - الطبعة الخامسة - مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

- علم النفس عند فرويد تأليف كالثن هو ، ترجمة أحمد عبد العزيز ،
وسيد أحمد عثمان - طبع سنة 1987 - مكتبة الانجلو المصرية القاهرة .
- فقه السنة للسيد سابق ، الجزء الثانى - الطبعة الاولى - دار الفكر
بيروت .

- قواعد الاسلام للامام أبى طاهر اسماعيل بن موسى الميظالى ، الجزء
الثانى ، صححه وعلق عليه ، بكلى عبد الرحمن بن عمر - المطبعة
العربية - بغارداية .

- الموسوعة الجنسية - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .
- موسوعة علم النفس - لاسعد رزوق - الطبعة الثانية - المؤسسة العربية
للدراسات والنشر - بيروت .

- المعجم الفلسفى لجميل صليبا ، دار الكتاب اللبنانى سنة 1971 .
- المعجم الفلسفى لمراد وهبة ويوسف كرم ويوسف شلالة - الطبعة
الثانية .

- ملامح الفكر الاوروبى المعاصر - طبع بدار الهلال سنة 1976 - القاهرة
لصلاح عدس .

- مذاهب علم النفس لعلى زيعور - الطبعة الثالثة - دار الاندلس - بيروت .
- الموسوعة السوفياتية ، اشراف م . روزنتال ي . يودين ، ترجمة سمير
كرم - دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت .

- الدوريات :

- (1) آفاق عربية العدد 12 سنة 1979 .
- (2) منار الاسلام العدد 12 سنة 1978 .
- (3) دراسات عربية العدد 3 سنة 1982 .

الفهرس

5	الاهداء
9	المقدمة
	مدخل الى البحث :
13	(أ) لماذا ندرس علم النفس ؟
15	(ب) علم النفس فى حياتنا اليومية
16	(ج) علم النفس وموضوعه
17	(د) علم النفس والعلوم الاخرى

الباب الاول

المدارس النفسية المعاصرة والمدرسة النفسية الاسلامية

20	(أ) المدرسة السلوكية
21	نقدھا
21	(ب) المدرسة الشعورية
23	اعتراض ونقد
24	(ج) مدرسة التحليل النفسى
27	تقييم ومناقشة
28	(د) المدرسة الشيوعية

- 30 مناقشة
- 31 هـ) المدرسة الاسلامية وخصائصها
- 34 أ) الهوى
- 34 ب) الشعور واللاشعور
- 36 1 - انشعور الارادى
- 37 2 - اللاشعور
- 39 3 - تقييم ومقارنة
- الباب الثانى**
- تحليل نظرية فرويد الجنسية**
- 41 أ) حياة سيجموند فرويد
- 43 فرويد وثقافة مجتمعه
- 44 ب) التراث العلمى الذى نشأ فيه فرويد
- 46 1 - الانجازات العلمية التى حققها فرويد
- 47 2 - مؤلفات فرويد
- 48 ج) تحليل مدرسة فرويد الجنسية
- 48 1 - نظرية القوى النفسية
- 49 ب - نظرية الجهاز النفسى

- ج - نظرية نمو الغريزة الجنسية وتطورها 51 23
- د) ديناميكية الشخصية والغريزة الجنسية 52 83
- هـ) الاعضاء الجنسية واللذة 53 18
- 1 - المرحلة القضيبية عند الولد 56 78
- 2 - المرحلة القضيبية عند البنت 57 48
- و) الوظيفة الجنسية وسلوك الانسان 58 88

الباب الثالث

الاسلام وتهافت نظرية فرويد الجنسية

- أ) نقد التحليل النفسي عند فرويد 59 98
- 1 - نقد عقدة أديب ورأينا فيها 62 16
- 2 - دحض عقدة الكترا 64 48
- 3 - وقفة مع مدرسة التحليل النفسي الجديدة ورأيها في استاذها 67 78
- 4 - رأى الاستاذ قاسم حسين 69
- 5 - رأينا الخاص 71
- ب) نظرة الاسلام فى طبيعة الانثى ونقد فكرة فرويد 72
- 1 - رأى الاسلام فى المرأة 74
- 2 - المرأة عبر العصور 75

77	3 - مدلول التفاضل الاسلامى
78	ج) رأى الاسلام فى دوافعنا الفطرية
81	د) رأى الاسلام فى آداب العلاقات الجنسية والزد على فرويد
87	1 - الاسلام لا يفرق فى اللذة الجنسية عند الجنسين
84	2 - آداب العلاقات الجنسية فى الاسلام
86	هـ) لا كبت فى الاسلام
87	1 - دعوة الاسلام الى الزواج
90	2 - الاسلام والرهبانية
90	3 - لا رهبانية فى الاسلام
91	خلاصة البحث العام
94	الخاتمة
97	مراجع البحث والتحقيق



• هذا الكتاب •

هذا الكتاب يوضح لنا ما هي أسس مدرسة فرويد ؟ وأثرها على سلوك الانسان ... كيف تم اكتشافها ؟ وما هي العوامل التي دفعته الى افتراضها ؟ لماذا وكيف ان هذه المدرسة قد أثرت في ملامح الحضارة المعاصرة بلا منازع ؟

ثم ينتقل الكتاب ، بعد هذا العرض ليتناول الاسس العامة للمدرسة الاسلامية في هذه المشكلة فيقدم القرائن التاريخية والادلة الحاسمة التي تفند هذه النظرية الجنسية التي لا تقف على أرض صلبة ، أمام أصالة الاسلام .

ولعل القارئ سيجد الجواب الكافي على تساؤلاته وأسئلته في هذه الدراسة .